الطبعة الثالثة

في زحام الحياة

د.تهاني محمد

)في داخل كل منا عالم سحري يبهرنا بخباياه واسراره .فنحن
عدة اشخاص في شخص واحد (

)مدخل(

لم آلف الشعور بالندم يوما ...

لأن كل ما أقدمت عليه فعلته برغبة كبيرة.

ولطالما تعودت النهوض بعد كل وقوع وانهزام ....

لكن.. الآن فقط .

قد أصبحت لي لائحة لأشياء أندم عليها..

لم أستجد أو أتسول يوما...

لكني اليوم استجدي اياما قد ضاعت مني ...ضاعت لأني قضيتها دون أن ابتسم ...نعم دون أن ابتسم .

أهدرت ساعاتها بالقلق والحزن على حدث رهن أيام المستقبل ....حدث لم يأت بعد...ونسيت أن ابتسم .

الآن لو عادت ايامي الضائعة تلك ....لأبتسمت كثيرا ..

ولقلت بأعلى صوتي ...لا...لتلك الأشياء التي ازعجتني وخشيت من كلمة ..لا.

ولكررت كلمة ..نعم ..ثلاث مرات كي اثبت رغبتي بتلك الاشياء التي اردتها بشدة وخشيت من قول)نعم اريد (.

لكن كلنا يعلم أن الأيام الضائعة لن تعود ...وأن التسول عادة قبيحة.

لذا سنعيش اليوم بملأ قلوبنا...)عيش من كل گلبك (.

ولنبتعد عن لصوص السعادة...

هل تعرفون لصوص السعادة ...

قد نتوهم بأننا لم نرهم يوما ..

لأنهم يدخلون حياتنا وهم يرتدون الأقنعة..

انهم بارعون ...ويسرقوننا باحتراف.

هؤلاء هم ..

الكراهية..الحقد ..الغيرة ..التشفي..الندم على الماضي..القلق على المستقبل..الحزن.

في هذا الكتاب افكار وحكايات.

بعض من فتات افكار نثرتها هنا وهناك على الصفحات

بعض الحكايات ما يزال ابطالها يعيشون بيننا...

وبعضها قد تكونون انتم ابطالها...

وقد اختبئ انا في احدى تلك الحكايات

وانا اكتب هذه الكلمات تذكرت عنوان لأحد الأفلام العربية.

)اضحك عشان الصورة تطلع حلوة(

ساكتب أنا هنا..

)ابتسم عشان الحياة تطلع حلوة(

ابتسم رغم الألم ..رغم المرارة ..رغم الغياب...ابتسم رغم انف الحياة.

تهاني 14/2/2017

إهداء..

الى..

تلك القلوب التي تجتر جراحاتها في صمت ...

هنا سأضيئ لكم الأشارة الحمراء ..واقول توقفوا..

توقفوا عن مضغ آلامكم ..توقفوا عن حبس الأنين خلف جدران عازلة للصوت .

لأن هناك من يسمع صدى همساتكم ..ويشارككم الألم .

قد رسمت رحلتكم تلك في هذه السطور..لأقول لكم لستم وحدكم في معركة الحياة.

ستتشابك ايدينا معا..لنصنع من الخيبات جسرا نعبر عليه الى الضفة الاخرى بأمان.

الى...

اغلى الصديقات في حياتي ..الى من كانت دموعهن تنزل في احزاني قبل دموعي ..وصدى ابتسامتي اسمعه في قلوبهن الصافية.

الى ...

صاحبة الأبتسامة الرائعة صديقتي الحبيبة...التي آمنت بكل حرف كتبته وأحست به قبل ان اخطه على الورق ..الى الدكتورة تانيا عاصم فائق.

اليكم جميعا اهدي سطوري هذه.

تهاني

مقدمة..

أن أعظم الرجال والنساء الذين يحملون أعظم الأفكار يمكن أن يوقفهم اصغر النساء والرجال الذين يحملون أصغر العقول’ أحمل الأفكار العظيمة على أية حال

ستيفن كوفي

تلك الكلمات لستيفن كوفي هي ماكان يدور في رأسي عندما بدأت بتدوين هذا الكتاب. ومتزامنة معها كانت تدق في مكان ما من ذاكرتي وفي زاوية مظلمة تزحف بين الحين والاخر لتصيبني بالأحباط والإنكسار رغم محاولاتي المتلاحقة لإبعادها .كانت كلمات لرجل يطلق على نفسه مصطلح) النخبة(.اي انه ينتمي الى فئة من الناس من ذوات المراكز المرموقة والأفكار الرفيعة.

حدث أن قرأ لي ذلك الرجل بعض ماكتبته من خواطر متناثرة

هنا وهناك فما كان منه إلا أن جاءني ناصحا اياي .

قال: لماذا تكتبين هل تكتبين ليقرأ النخبة .نحن النخبة .واقول لك إننا نعلم كل ماينزوي تحت مفهوم الحق والباطل لكننا اقلية .ولايمكن لأفكار الأقلية أن ترى النور .

اما اذا كنت تكتبين ليقرأ العوام من الناس .فأحيطك علما أن العوام لايقرأون.

كان يتكلم ويشير بين الحين والاخر الى وجود الكثير من العوائق امامي واولها واكبرها هو انني امرأة شرقية .

وبمفهوم اخر انني) عورة(.وكلامي في الحب والفراق والحرية المشروعة ماهي الا لوثة تشوب سمعتي كامرأة ..وماكتب عنه في امور الحق والخير والسياسة والحروب والمجاعات والتشرد والتحريض لطمس العادات البالية والتقاليد المتوارثة دون علم او دليل ماهي إلا وقاحة مني لأني) عورة شرقية(.

القى رجل النخبة كلماته تلك التي نزلت مثل مطرقة على رأسي ثم لوح مودعا وقد تركني أسبح في موجات هائلة من تلك الطاقة السلبية التي انبعثت منه قبل رحيله.

قضيت يومين كاملين وأنا في حالة لاتطاق من المزاج المتعكر .بين قوتين متعاكستين تشدني كل واحدة منهما.باتجاه يعاكس الأخرى ولأول مرة في حياتي احسست بطعم الألم كوني امرأة !..

مرت علي الساعات وأنا بين مد وجزر .

ثم وفي آخر اللحظات من معركتي الروحية .خرجت منتصرة.

انتصرت كلمات ستيفن كوفي الرائعة على كلمات رجل النخبة ..

نعم أنا امرأة شرقية...لكني لست عورة... ولم أك كذلك يوما.

. لسنا ناقصات عقل كما يدعوننا....إننا شمس الشرق الدافئة...

أنا وأنت ايتها العربية الأصيلة....نحن عطر العود ورائحة بخور الشرق..

وسنحمل الأفكار العظيمة... على أية حال.

تهاني

.....تتبع الضوء المنبعث ... فإن لك فيه حياة أخرى(1)

النباتات لاتملك العقل ولو غطيتها بصندوق وفيه ثقب صغير لخرجت منه متتبعة الضوء,فمابالنا لانتبع النور ونحن نملك العقول.

نجيب محفوظ

إن الواقع الذي نحن فيه الان وماوصلت اليه حياتنا ماهو إلا

حالة مختلطة من الفعل ورد الفعل .فهي تتلخص ببساطة شديدة ببضع كلمات)أقدار تحدث لك يقابلها ردود افعالك على تلك الأقدار(.

وقد حدد)ستيفن كوفي (نسبة مئوية لتلك الاحداث في كتبه .

فقال أن مايحدث لنا من أمور خارجة عن االسيطرة يشكل 10% وهي 90% فقط أما ردود افعالنا تجاه تلك الأمور يشكل النسبة الأكبر والمسؤولة عن الحالة التي سنكون عليها مستقبلا.

هذا يعني أن نسبة كبيرة من السعادة أو التعاسة هي من صنع أيدينا ..وأن حياتنا ما زالت تحت السيطرة إذا ماكنا نمتلك مهارة التحكم في مشاعر الغضب والفرح ,الصبر والجزع ,التسامح والكراهية.

فمثلا لو حدث وأنت تتناول طعام الأفطار صباحا أن سكب أحد أطفالك دون قصد منه كأس العصير على قميصك الذي كنت ترتديه للذهاب إلى العمل .عندها قد تصاب بنوبة غضب وتصرخ موبخا أبنك على مافعل ثم تسود حالة من التوتر بينك وبين زوجتك بسبب صراخك .ثم تلتفت فترى طفلك حزينا ولم يتناول أفطاره ولم يك مستعدا في الوقت المحدد للحاق بباص المدرسة وستضطر إلى القيام بايصاله بنفسك .وعند دخوله إلى مدرسته سوف يمتنع عن تقبيلك كما يفعل في كل

يوم لأنه يشعر بالغضب والحزن.فتكون قد فقدت لحظات جميلة كان ممكن أن تساعدك في يوم عملك الطويل.

ثم سترى أنك وصلت متأخرا للعمل وبمزاج متعكر وتضطر إلى سماع بعض من كلمات التوبيخ من مديرك لكونك لم تصل لعملك في الوقت المطلوب.وهنا نرى أنك بردة فعلك تجاه حدث بسيط قد أحرقت يومك ودخلت في ازعاجات كان من الممكن تفاديها .

فلنعكس الصورة الآن .فلو حدث أن سكب طفلك الصغير كأس العصير على قميصك الذي ترتديه للذهاب إلى العمل ودون قصد منه .فما كان منك إلا أن تبتسم في وجهه لتخبره أن كل شيئ على مايرام وتتركه ليتناول افطاره ثم تذهب لترتدي قميص آخر بدل قميصك المتسخ .وترجع فتنظر من النافذة وترى أبنك يلوح لك بيده ويبعث لك بقبلة في الهواء وهو يصعد في باص المدرسة.فتودع أنت بدورك زوجتك وتذهب للإلتحاق بعملك وقد تركت جوا من المحبة والألفة داخل منزلك وأيضا وصلت لعملك في الوقت المحدد.

توجهاتنا,أفكارنا الإيجابية,كفيلة بأن تحملنا لنعبر بأمان كل تلك العواصف والأمواج المتلاطمة...

يقول)سومرست موم(قول لطيف في كيفية التعامل مع الحياة التي نعيشها.)قليل من الأدراك السليم,وقليل من التسامح ,وقليل من المرح,وسوف تندهش عندما ترى كيف استطعت أن تريح نفسك على ظهر هذا الكوكب(.

كما أن لتوماس جيفرسون قول في غاية الدقة وهو يشير لأهمية التوجه الفكري في إنقاذ حياتنا من الأنهيار.

يقول:: لاشيء يمكنه إيقاف المرء ذي التوجه الفكري السليم عن تحقيق هدفه .ولاشيء على هذه الأرض يمكنه مساعدة المرء ذي التوجه الفكري الخاطئ .

ولعل أصدق مايمكن أن أذكره هنا كمثل رائع لأحد الأرواح الطيبة التي لم تستسلم ولم تستكين رغم كل ما حل بها من خذلان وألم لكن نورا روحانيا كان يشع من ذلك القلب الكسير فما كان منها إلا أن تمسكت به كطوق للنجاه.وأنا اكتب قصتها هنا تذكرت قول لجلال الدين الرومي)ولعل ثقبا أصاب قلبك ..جعله الله لك عينا تبصر بها الحقيقة (.

إنها)جوان رولينج(تلك الروائية الكبيرة مؤلفة سلسلة روايات هاري بوتر الشهيرة.

عانت جوان رولينج من العنف الأسري خلال فترة زواجها ثم انفصلت عن زوجها خارجة من ذلك الزواج بطفلة صغيرة تحملها على كتف وتعلق على كتفها الأخرى حقيبة تحتوي على ثلاثة فصول من رواية هاري بوتر.

كانت تكتب صباحا وتدرس مساءا ..ثم تخرجت بعد سبع سنوات . لكنها توقفت لتلقي نظرةعلى ما آل اليه حالها لتجد أن شعور يمزقها وصوتا يردد على مسامعها كلمه)أنت فاشلة(.

كانت تشعر بأنها اكثر شخص فاشل في هذا العالم .فهي عاطلة عن العمل, وزواجها قد انها ر,ولديها طفلة لتعولها.

فوقعت فريسة للاكتئاب وفكرت بالأنتحار وقد أوحى لها هذا الشعور المرضي بفكرة) الديمنترز(وهي تلك الكائنات التي تمتص الروح والتي قدمتها في ما بعد في الجزء الثالث من سلسلة هاري بوتر الشهيرة .لكن اصرارها على الحياة دفعها للنهوض وتتبع النور المنبعث من الثقب . كما تتبعت تلك النبتة النور من خلال ثقب صغير في الصندوق .

قالت جوان رويلنج)عنى لي الفشل أن أتخلص من كل ماهو غير ضروري .فقد توقفت عن القول لنفسي أنني أي شيئا آخر عما أنا في الحقيقة...وبدأت أوجه كل طاقاتي لإنهاء العمل الوحيد الذي كان يهمني .فلو كنت نجحت في أي شيئا آخر ربما لم أك لأعثر على التصميم للمضي قدما والنجاح في المجال الوحيد الذي انتميت له حقا) الكتابة(.

أنا الآن قد تحررت.لأن ما كنت خائفة منه تحقق وأنا ما أزال في قيد الحياة ,ولي إبنة أعشقها وآلة كاتبة قديمة وفكرة كبيرة.وهذا شكل لي أساس صلب لأعيد بناء حياتي عليه(.

تعتبر جوان رولينج الآن روائية كبيرة,كاتبة سيناريو ومنتجة أفلام بريطانية حاصلة على وسام الشرف البريطاني.وقد فازت سلسلة هاري بوتر الفنتازية بالعديد من الجوائز وبيع أكثر من اربعمائة مليون نسخة من تلك الروايات وقد ادرجت ضمن قائمة الكتب الأكثر مبيعا في التاريخ ثم بنيت عليها

سلسلة من الافلام التي بدورها صارت ضمن قائمة أعلى الأفلام دخلا في العالم.

وبذلك استطاعت تلك المرأة أن تحول مصيرها من البؤس والاكتئاب إلى أن تكون امرأة غنية صاحبة اشهر الروايات في العالم.

فحياتنا ماهي إلا أقدار كتبت ثم ردود افعالنا على تلك الأقدار.

ولاتنسى أن ماتبحث عنه يبحث عنك.وأن اسوأ ماقد يحدث لنا هو من صنعنا نحن .

ولطالما هذا السؤال شغل ذهني وذهن الكثيرين من الناس ..هل الأنسان مسير أم مخير

ولعلي وصلت بعد طول تأمل وتفكير فيما يحدث لي ولما يحدث لمن حولي .إلى قناعة راسخة ,ألا وهي أننا مسيرون في أقدارنا . إلا إننا مخيرون في طريقة التعامل معها.وردود فعلنا تجاهها.

فكم من قضاء وقع فكان رادعا لأحدنا وموجها له .في إتجاه للتغير نحو الأفضل.في حين أن نفس القضاء قد وقع للغير فكان سببا في الأنحراف والجحود.

.....

(2)

كن أقوى ..... وبالقليل من الحب ستنجو

هناك قول يردده كثيرون لكني أشعر بانزعاج كبير حينما أسمعه .أنه هنا في الاسفل :

)أذا شعرت بالبرد بسبب الوحدة فلتمسك يدك بيدك الأخرى لتشعر بالدفأ.(..

هل قرأت هذا القول ...ما رأيك ...هل توافقهم على ما يقولون!!

حسنا ..أذا كنت تتفق أو لا تتفق معهم حاول أن تقرأ وجهة نظري في هذا الأمر:

أنا أعتقد أن الأنسان الذي قال تلك الكلمات والتي تبعث بداخلنا إحساس بالبرد والصقيع كان حزينا , وحيدا , غاضبا قد ابتعد عنه الأحبة والأصدقاء..

لكن لماذا ....لماذا عندما يثكل بعض الناس ,عندما يحزنوا أو يفقدوا عزيزا أو حلما يقعون في ذلك البئر المظلم .....

حقا لماذا !!.....فخلال رحلة الفقد تلك تقع الأرواح الكسيرة مشلولة تماما لتستريح على كرسيها المدولب مستسلمة لذلك الشعور المميت من الضعف والإنهزام .حقا أنها رحلة قسرية داخل النفس ستخرج منها إما ملاكا أو شيطانا ..

.فقد يبقى البعض منا وهو في رحلة الفقد والألم مستمتعا بركون روحه إلى كرسيها المدولب متلذذة بشللها الكامل رافضة أي محاولة للنهوض والسير على عكازين تستعين بهما لقطع رحلتها الطويلة. لكن حقا ماأخطرتلك اللذة !!!...لذة الأستسلام والضعف والغضب المكتوم .

الحقيقة أن هؤلاء الذين أصروا في اللاوعي على عدم النهوض .سوف يمر الوقت عليهم لامحالة وسينهضون رغما عنهم .

.وبمرور الوقت يتحول الحزن إلى ألم يمزق القلب ثم إلى صمت مخيف .

سينهضون لكن بأرواح مظلمة تشعر بالكراهية لكل من حولها ستتهم كل حبيب ,صديق أو قريب بالخيانة والتخلي وعدم الوفاء ثم يبدأ هؤلاء المتألمون بالأمساك بورقة وقلم لشطب الأصدقاء والأحبة من حياتهم كما يشطبون الأيام المنقضية في التقويم السنوي !!!.

إذن فقد خرجوا من رحلة الألم بأسوء مما كانوا عليه قبلها أو خلالها .لأنهم في الحقيقة يطلبون الكثير .

.) كن أقوى.....وارضى بالقليل (يقول سقراط

أن بعض المكالمات الهاتفية المتباعدة من صديق يقول لك أنه هنا اذا احتجت إليه ,وإنه يشعر بحزنك .كافية لتعديل مزاجك وكفيلة بتحويل الإحساس بالوحدة والضعف الى إحساس

بالإحتواء والقوة.

زيارة سريعة لقريب لك أتى ليطمئن عليك كافية لأن تضفي الطمأنينة والراحة على قلبك المكلوم

..إ ن وجود الأصدقاء في حياتك يعطيك هالة ايجابية لتحيط بك فتخرج من رحلتك متعافيا وبروح أصفى من روحك القديمة.

يد الأصدقاء ممدودة دوما لكن لا تمسكها بقوة لتتعكز عليها فتقطعها.وتذكر أن أصدقائك واحبائك سيرفعونك عندما تنكسر أجنحتك لتحلق من جديد لكن في الحقيقة أن من يحمل ثقل وزنك هو أنت وليس هم .فقط أرضى بالقليل من الحب وستنجو.

فهل تأملت يوما تلك القدرة العجيبة لدى الأطفال لترميم القلوب الكسيرة !!!.....أذن لماذا كلما تقدم بنا العمر فقدنا تلك الموهبة السحرية .!!!

هل تأملت يوما طفلا وقد وضعته أمه في فراشه وحيدا بعد أن اطفأت كل أنوار حجرته إلا من مصباح بنور خفيف ثم أغلقت الباب خلفها وتركته لينام وحيدا في الظلمة والصمت .

سترى إنه غالبا ما سيبدأ بالغناء .يردد أغنياته الطفولية الجميلة.انه لايغني لأنه سعيد. فلا أحد يسعد بوحدته .بل يغني ليطرد الخوف فتهدأ روحه ويغط في نوم عميق..

فلنتعلم منهم .... ولنكن أطفالا خلال رحلة الفقد والحزن .

ستون ثانية (3)

الوقت عملة حياتك ,وهي العملة الوحيدة التي تمتلكها .وأنت وحدك تستطيع أن تحدد كيف يمكن أن ينفق فاحرص عاى أن لا تدع آخرين ينفقونه بالنيابة عنك.

)كارل ساندبرغ(

ضع يدك على صفيح ساخن لمده دقيقة وستشعر أنها ساعة,أجلس مع محبوبتك لمده ساعة وستشعر أنها دقيقة.هذه هي النسبية.

)ينسب إلى أنشتاين(

ذات مساء كنت على عجلة من أمري .اريد إكمال عدة أعمال كانت تشغلني وكان لابد لي من تسجيل بعض الملاحظات على جهاز الآي باد الخاص بي فقمت بإدخال الرمز السري الذي سبق وأن وضعته كي تفتح لي شاشة الجهاز أبوابها وتستقبلني مرحبة كضيفة محببة .لكن بسبب تلك العجلة اخطأت في كتابة الرمز لمرتين متتاليتين .فما كان من جهاز الآي باد إلا أن ينذرني بأنذار أخير ويطلب مني إدخال الرمز بعد مرور دقيقة كاملة فإذا اخطأت مرة أخرى ستعلن شاشته الحداد وتغلق بابها في وجهي لعدة ساعات عقوبة لي على خطء غير مقصود.

وقفت مطيعة أنتظر مرور تلك الدقيقة.وخلال انتظاري هذا ذهبت مخيلتي في رحلة طويلة جبت بها نصف جغرافيه الأرض.....مر شريط من الذكريات السعيدة والحزينة امامي.....فكرت بكل الأعمال المنزلية التي تنتظرني..... أحصيتها ,..وضعت لها جدول زمني لإنهاءها ,...قمت بأكل قطعة من الشوكولاته.....ولم تنتهي الدقيقة..!!!!! ..

عجبا ..ماذا يحدث ألم تكن دقيقة ليس إلا ..ستون ثانية .ما الذي جعلني أشعر بكل ذلك الضجر والملل كأنها سنة كاملة

هل لأنني كنت أقطع دقيقة من الشعور بال)إنتظار(....

لم تك سوى ستون ثانية !!!.... تلك هي نفسها التي كانت تتسرب بسرعة الضوء عندما كنت أتحايل على الوقت صباحا لأكسب غفوة قصيرة قبل أن أجبر على النهوض ليوم عمل طويل .

دقيقة رائعة من الأحساس بالمتعة)متعة النعاس (.

إنها نفسها تلك الستون ثانية التي أقضيها في المصعد وأنا أحبس انفاسي)خوفا(من حدوث خرق لميكانيكية عمل المصاعد فيقع المصعد بمن فيه في سرداب مظلم .نمارس الأختناق ببطئ بانتظار وصول فرقة الأنقاذ.

شعور بال)خوف (....

القائمة تطول ...شعور بالفرح...بالحزن...بالغضب..بالخجل...بكل شيء.

إنها ستون ثانية لها صفة مطاطية تطول وتقصر....قد تكون لحظات أو ساعات وربما سنوات.

على حسب ما نشعر به .. انه ال)شعور(. لكن لماذا لم يضع لنا أنشتاين بعدا خامسا !!!!

الشعور...كما وضع بعده الرابع) الوقت(. والذي احدث ثورة علمية غيرت كل شيء. حين قال لنا أن أبعادكم الثلاثية لا تنفع . إنها معادلة ناقصة دون وجود الوقت. فتلك النجمة اللامعة هناك. والتي تزين بنورها وجه السماء.ليست سوى ماضي ...نعم إنه ماضي نجمة !!! فتلك هي لم تك إلا صورتها قبل آلاف السنوات .والتي قطعتها لتصل إليكم .وخلال استمتاعكم بجمال تلك النجمة كانت قد دخلت هي في حاضر ثم في مستقبل وقد تكون بهتت وانطفأت الآن.

لكن لماذا لم تضع لنا بعدا خامسا !!!!

هل كان مكتشف الفيس بوك أكثر عبقرية منك !! ليضع لنا

حالة)بماذا تشعر(...

اشعر بالفرح ...اشعر بالحزن... اشعر بالأحباط.....إننا نتحسس الوقت من خلال الشعور .

عمرك البايولوجي الآن لم يعد مهما.....إنه عمر الشعور.

فأنا أعرف كثيرا ممن قضوا نحبهم وهم في الخامسة والعشرون لكنهم لم يدفنوا إلا في الخامسة والسبعون.

لي قريبة أعرفها .ماتت منذ وقت طويل .

أنها امرأة ميتة)شعوريا(....لكنها لاتزال تتنفس وتأكل وتمشي)بايولوجيا(.

لكن هل رأيت حقا امرأة ميتة وهي في قيد الحياة !!

ستموت عندما لم يعد في داخلها حبا..عندما تترك أدوات زينتها...عندما لم تمطرها كلمة حب أو لمسة حانية منذ وقت طويل.

عمرنا يا أصدقائي هو ستون ثانية من الحب والفرح ...أو ستون ساعة من الألم..

نحن من يقرر كم هو عمرنا على هذه الأرض.

وكم سنبقى خالدين وننبض في)شعور البعض(..بعد أن نرحل عنهم..

.....
.....

جرحي ينبت أزهارا(4)

وفي المرأة امرأة أخرى.لايعرفها أحد تستيقظ فقط حين تنكسر.حين تؤمن أن لا أحد في هذا العالم سيكون معها.فجأة تصبح أقوى

)نجيب محفوظ(

كنت أنظر إليها بعينين ملؤهما الدهشة ,كيف لهذه الأم المفجوعة بولدها أن تكون متماسكة هكذا.,مبتسمة ,مصففة شعرها بعناية !!! رايتها تجلس واضعة جهاز الحاسوب في حجرها تقلب صفحتها الشخصية على الفيس بوك,تعلق للأصدقاء,واضعة سماعة الأذن لتنساب منها أغنيات تحبها.إنها تتصرف بتلقائية كبيرة.

تفحصتها جيدا فرأيت أنها تضع إلى جانبها بنطال

صغير .تمسكه بين الحين والاخر فترفعه لتشمه وتقبله .أثار ذلك فضولي فسألتها بحذر.لمن هذا البنطال ياعزيزتي

قالت مبتسمة .تخنق عبرات مكتومة داخلها أنه لولدي.مذ كان في السنة ألرابعة من عمره.قد أستشهد ولدي الوحيد وهو في مكان عمله حيث قام متطرف يرتدي حزاما ناسفا بتفجير نفسه وسط حشد من الموظفين والمواطنين المصطفين لإكمال معاملاتهم في أحد الدوائر ألحكومية في بغداد.

لم يكمل ولدي عامه العشرون,....لم يتحقق حلمي برؤيته ممسكا بيد حبيبته في حفل زواجه الذي لم يتم..

تصدقت بكل ملابسه ...ولم أحتفظ إلا بهذا البنطال الصغير.أضمه إلى صدري .أقبله كل يوم .

لم أتكلم أنا ...تماسكها وقوتها أخرسا لساني ..كنت أنظر إليها وفي رأسي ألف سؤال..

هل هي فعلا حزينة ..هل تتقطع من الداخل ...هل هي بكامل قواها العقلية .

أين ذهبت دموعها ...من أين لها هذه القوة الصخرية ...

بعد مرور عدة سنوات أتيت لزيارتها ...طرقت بابها..بعد أن غرز في قلبي خنجرا ..رأتني وأنا أنزف..كانت دموعي تنهمر وكأنها تفيض من بحر أو محيط ..مالحة غزيرة لا تنضب أبدا.

قالت لي ..ستتعافين ياعزيزتي

ستخرجين من قشورك...

ستكونين امرأة أخرى...أجمل ..وأصفى..وأقوى.

سقطت كلماتها على رأسي كأنها الجمر.صحت بها دون وعي

مني...لا أستطيع..أتفهمين..لا أستطيع.

فأنا لست أنت.....أنا لست أنت.

قالت....ستكونين ..أنا

عدت لزيارتها بعد سنة...قالت لي ..ما أجملك..خداك متوردتان ...أبتسامتك مشرقة.

كيف أنت الآن

تحسست قبل أن أجيبها قلبي ..لمست الخنجر المغروس فيه.لأتأكد إنه لايزال في موضعه...ثم أجبتها.

لقد خرجت من قشوري.....أتذكرين

أبتسمت...قالت ..

نعم أذكر...أهلا بك في مدينتي..مدينة الموتى الأحياء

أجبتها ساخره.تقصدين أننا أصبحنا كالزومبي

قالت...لا ياعزيزتي...الزومبي لايملكون روحا...ولا قلوب لهم إنهم أجساد مجوفة..ثم تحسست هي بدورها الخنجر الصدئ المغروس في قلبها.وقالت..

أنظري لقد نمت شجرة في قلبي..لاتخافي..فهي لاتزال تقطر دما.ولكن أنظري ما أجمل أزهارها !!

قلت لها بدهشة كبيرة وأنا أنظر إلى قلبي أيضا:

أنظري لقد نمت في جرحي أنا أيضا أزهارا!!

لكن ألوانها غريبة ومخيفة !!!..

إنها أزهار سوداء,.....وأخرى زرقاء.....وبلى هنالك أيضا أزهار بيضاء!!!

قالت..ألم أقل لك أهلا بك في مدينتي!

ياعزيزتي...أزهارنا السوداء هي صبرنا الذي أزهر,.....والزرقاء هي قدرنا.الذي آمنا به.وسنمضي معه بأيمان وتسليم .....أما تلك البيضاء فهي أزهار اللامبالاة.

نعم ياعزيزتي..ستكملين رحلتك بالصبر والقدرية ..وتستعيني على كل ذلك باللامبالاة.

ألم أقل لك ستكونين امرأة اخرى

أنت الآن أجمل.

...(لابد لهم من عودة لأنهم ....)آذاريو العواطف(5)

كل شهر في السنة يعرف جيدا إلى أي فصل ينتمي. ربيعا كان أم صيفا....شتاء هو أم خريفا..

إلا شهر واحد ...ذلك هو آذار...

آذار ولد ليكون آخر شهر في القافلة الشتوية ,فهويأخذ الطابع

المناخي للشتاء ,لذا نرى فيه أمطارا غزيرة,أياما قد تكون باردة,رياح تأتي وتذهب,...لكن وبسرعة كبيرة مباغتة نراه يتمرد على وطنه) الشتاء(...فيحلق كالطير الهارب توا من حبسه مسرعا على غير هدى ولاهدف يشغله سوى متعة التحليق...

فيأتي لنا آذار بأيام مشمسة دافئة.تشبه تلك التي يحملها لنا فصل الربيع .ثم شيء ما يسحبه بقوة.. فهو لايستطيع الانسلاخ...يعود مسرعا فيلتصق بفصل الشتاء..

إنه الحنين !!...

آذار هذا يذكرني بكلمات في أغنية عراقية قديمة....فأنا أعشق أغنيات العراق الأصيلة ..تلك الأيام الجميلة في بلدي..قبل أن تعصف بنا رياح الحروب والقذائف..قبل أن يتلون بلدي بلون الدماء...قبل أن تلبس جميع النسوة فيه السواد..

تقول كلمات الأغنية)محيرني ساعات الصبح ....شوو جنك تودعني.....وساعات بغياب الشمس...ملهوف ومضيعني(...

مد وجزر.....لهفه محمومة وهروب غير مفهوم...

هذا النوع من الناس اسميه أنا) الآذاريون(..

أنهم يشبهون شهر آذار في هروبه ثم التصاقه..

آذاريو العواطف هؤلاء...أنا شخصيا لا أخاف منهم ..

لأنهم دائما.....يعودون.

قد يتوهون قليلا...ويحلقون بعيدا....لكن حنينهم للوطن)للحبيب(...يكاد يقتلهم ..إنه يسحبهم بقوة ..فتعود أرواحهم التائهة إلى أحضان وطنهم وسكنهم الروحي ..إلى الحبيب ...أنهم لايستطيعون الإنسلاخ من علاقاتهم الأم.

يراودني هنا سؤال ...

لماذا ..

حقا لماذا لانستطيع الإنسلاخ من بعض العلاقات

لماذا نحاول الهروب ...ثم نعود خائفين كالأطفال نبحث عن صدر الأم الدافئ..

هل هوالأدمان ...

كلا.....لوكان أدمانا أو تعودا.....لكانت بضع سنوات من الأبتعاد والإنسلاخ كافية لإنهائه...

حقا هناك علاقات لا نعرف أن نصنفها...

لأنها تعطينا معنى للحياة ..سبب لوجودنا ..لإندفاعنا...لإبداعنا....سكن لأرواحنا التائهة..

إنها لايمكن أن تصنف...

آذار لايصنف....

لكن لماذا نكثر من الأسئلة على شيء أجابتنا عليه فيروز منذ زمن..

في واحدة من أروع اغنياتها

)ياريت..(

يشدو صوتها الشجي ليتغلغل في الروح وهي تقول:

لورجعت بجن ...وان تركتك بشقى..

لاأدراني فل...ولا أدراني أبقى...

ياريت ..ياريت.

.....
.....

عيد الحب أو الفالنتاين يوم الرابع عشرمن فبراير من كل سنة.يوم للأحتفال. تتزين فيه المحال التجارية والشوارع بالورود الحمراء.ويتبادل الأحبة فيه البطاقات البريدية الحمراء التي تحتوي على صورة كيوبيد على شكل قلب أو طائر حمام أو طفل له جناحان يحمل قوسا ونشابا.

وكيوبيد هو أله الحب لدى الرومان....

أنه يوم واحد في السنة يأخذ طابع السلام والحب ...عكس بقية أيام السنة التي تعج بالكراهية ورائحة البارود والحرب والإحتراق.

كان للإحتفال بهذا اليوم وعلى مر العصور أسبابا كثيرة. فقد كان الرومان الوثنيون يحتفلون في الرابع عشر من فبراير والذي يتخذونه عطلة رسمية داخل روما تسمى عطلة الربيع والتي تعبر عن مفهوم الحب الإلهي خلال تلك الفترة في القرن الثالث الميلادي.

أما عند المسيحيون فقد كان عيد الحب قديما ينسب إلى القديسين اللذين يحملان أسم)فالنتين(واللذان كانا يعيشان في بدايات العصور الوسطى .

حيث عاش أحد هذين القديسين في مدينة تورني . وبسبب الأضطهاد الذي كان يعيشه المسيحيون والديانة المسيحية في عهد الأمبراطور) اورليان(تم أعدام القديس فالنتين الذي عاش في تورني , أما فالنتين الآخر فقد كان يعيش في روما والذي قتل عام269 م بسبب اعتناقه للديانة المسيحية,في عهد الأمبراطور)كلوديس الثاني(,حيث ذكرت كثيرا من

الروايات قصة فالنتين هذا,والذي قد حدث أن كان له لقاء مع الأمبراطور كلوديس الثاني وتبادل الكثير من الأحاديث والنقاشات الفكرية .

فأعجب الأمبراطور بعقلية وفكر القديس فالنتين وحاول حمله على ترك المسيحية واعتناق الوثنية.إلا أنه رفض وحاول بدلا عن ذلك أن يقنع الأمبراطور بالدخول إلى الديانة المسيحية .

ثم لاحقا لذلك يذكر أن الأمبراطور كلوديس الثاني قام بإصدار قرار بمنع الشباب من الزواج.وقد ذكرت الروايات أن سبب إصدار هذا القرار من قبل الأمبراطور هو رغبته في زيادة عدد أفراد جيشه لأنه يعتقد أن الرجال المتزوجون لا يمكن أن يكونوا جنودا أكفاء ولكي لاينشغل الجنود عن الخوض في الحروب والمعارك.

..لكن القديس فالنتين كان له موقفا معارضا لهذا القرار فأمر الأمبراطور بإلقاء القبض عليه وإيداعه السجن.

يقال أن القديس فالنتين كتب أول بطاقة حب وهو في السجن قبل تنفيذ حكم الأعدام فيه .فقد وقع حب إبنة السجان في قلبه والتي كانت كفيفة .وقد عمل على شفائها .أرسل لها رسالة قصيرة ووقعها)من المخلص لك فالنتين(ثم نفذ حكم الأعدام فيه بعد ذلك بساعات...

ومن يومها أرتبط ذلك التاريخ بمفهوم الحب والتضحية والرومانسية .وقد أبدع أدباء القرون الوسطى فيه بنظم القصائد التي تتغنى بالحب والغرام .

هذا ماكان في العصور الوسطى ..

أما ما يحدث وحدث بعد ذلك هو أن الأحتفال في يوم الرابع عشر من فبراير ما زال مستمرا في العصور التي تتابعت الى عصرنا هذا لكن لم يكن يوما القصد منها تخليد لذكرى قديس أو غيره .

هو فقط أحتفال للحب وبالحب تتناثر فيه الأزهار الحمراء لتملأ الشوارع بالحب .

تتزين كل الأماكن بالبالونات الحمراء والقلوب الحمراء والدببة الحمراء بمختلف الأحجام ممسكة بقلب أحمر ينبض حبا أو يحمل بطاقة حب .

ثم تتزين محال الحلوى بمختلف أنواع الشكولاتة المصنوعة على شكل قلوب حمراء.وتلبس الفتيات الفساتين الحمراء للتعبير عن احتفالهن بيوم الحب...لم يذكر أحد من المحتفلين بعيد الحب أسم قديس أو دين أو طائفة .أنهم فقط فرحين متحمسين لأن لهم يوما للإحتفال بالحب.

لكن المتعصبون دينيا في كل مكان من العالم كان لهم موقفا آخر كما هي الحال دوما .

ففي الهند يقوم المتعصبون بمنع المحتفلين بعيد الحب ويعتبروها لوثة غربية تشوب الثقافة الهندوسية.

أما في مومباي فيقوم المتعصبون المعارضون بضرب المحتفلين بالهراوات وتفريقهم .وفي بلدان اخرى أسلامية تم منع بيع الزهور الحمراء وبطاقات الحب الحمراء وحرق الدمى

والأزهار التي تباع في عيد الحب لأعتقادهم أن الأحتفال بهذا اليوم يعتبر مخالفا للشريعة الأسلامية.

تنشط السياحة كثيرا في يوم عيد الحب وتزدهر تجارة بيع الأزهار والحلوى وكل ماله صلة بالإحتفال بيوم الحب ...

قال لي يوما أحد الأصدقاء أنه باع ألف ومائتان زهرة حمراء في عيد الحب الذي أحتفلت به مدينته الصغيرة .لم يكن الرجل مهتما بعيد الحب بحد ذاته لكنه كان ينتظر عودته كل عام كي يرزقه الله وتنفد كل باقات الورود الحمراء التي في جعبته ..كان عيد الحب مصدر رزق بالنسبة له .

ومنع رزق البسطاء بغطاء دينيا سيعمل على تنشيط السوق السوداء رسميا . كما هو الحال دوما عندما تريد الدولة منع شيئا دون أقتناع وتأييد من مواطنيها.

في أحدى الدول الإسلامية قامت السلطات بتفريق الشباب الذين يسيرون متشابكي الأيدي إحتفالا بيوم الحب .حاولت تفريقهم عنوة فما كان منهم إلا أن أصروا على المسير والإستمرار وهم ممسكين بأيدي بعضهم بعضا يحملون أزهارا حمراء دليل على احتفالهم بعيد الحب.

لكن حقيقة تلك الأمور تستدعي التوقف والتفكير !! ما الذي يزعج هؤلاء من احتفال الناس بعيد الحب

هل يثيرهم اللون الأحمر للدببة والأزهار والقلوب كونه في اللاوعي لديهم قد يرمز إلى الفسوق والأغراء والخطيئة

لكن لماذا يذكرهم اللون الأحمر بذلك ولايذكرهم بالدماء التي

تسيل من أجساد الأطفال والنساء أو الرجال فتغرق الأرض بعد كل قصف مدفعي أو صاروخي يدك مدنا ومنازل آمنة يغمرها الحب وتسكنها الطمأنينة . فتأتي نيران الحقد والكراهية لتتركهم ممزقين بين أجساد تسبح بدمائها وبين مشردين نازحين من بلد لآخر يتجمد بعضهم فيدفن تحت الثلوج على الحدود بين البلد الذي نزحوا منه والبلد الذي يأملون الوصول إليه لينالوا قليلا من الدفأ فيه فتتجمد أوصالهم قبل االوصول ويفارقوا الحياة مرحبين بالموت .

أو ربما يكون الموت أرحم من الحياة وسط قلوب تفوقت على الحجارة في قسوتها.

لماذا يكرهون الحب والأزهار ويعشقون الحروب والقتل والدمار

نحن لا نريد سوى يوم للفرح ...يوم واحد ..

هل أزعجكم اللون الأحمر أستبدلوه لنا أذن باللون الأبيض أو الوردي...لكن دعونا نحتفل

هل تعتقدون أننا لازلنا نحتفل تخليدا لذكرى قديس قتل بسبب دينه ومعارضته لقانون غير أنساني في العصور الوسطى

اسألوا أذن أي شاب أو شابة تسير في الأحتفال تحمل زهرة حمراء ..اسألوها ذلك السؤال وستجيبكم ..كلا ..أنا فقط أحتفل بيوم الحب .

هل يثيركم أسم الفالنتاين لأنه يرتبط باسم قديس عاش في العصور الوسطى !..

اقترحوا لنا تغيير الأسم...فلنسميه أسم آخر.. فللحب والمحبة والسلام والفرح ألف أسم وأسم....

فقط دعونا نحتفل بيوم واحد في السنة..يوم للحب والسلام يقابله364 يوما للكراهية والحروب والقتل.

وقد نكون محظوظين فتأتي سنة كبيسة لها366 يوما فنأخذ لنا يوما إضافيا للإحتفال بعيد الحب...لكن هل ستتركوه لنا يوم إضافي للحب ...كل اربع سنوات.

هل ستتركونا ننثر الورود والفرح ..

أم أن الفرح والحب مخالف للشريعة وضد الإنسانية. !!!!...

.....
.....

قالو له ..لن تموت ناقص عمرا...لاتخف

فعمرك هو منحة إلهية لوقت محدد للتعبير

عن نفسك..

عدد السنوات التي تعيشها على هذه الأرض

مزود أنت بسلاحين..

نفس تحوي كميتين متساويتين من الخير والشر

مع جسد ترابي ...يعينك على قطع رحلتك الدنيوية

أنت من يقرر أي زر للقيادة سوف تختار لتبدأ الرحلة

....خير....أم شر

مع الكثير من المطبات والعراقيل التي وزعت على طريق الرحلة

وبشكل غير متساو لكل منا...

لكن عليك السير إلى النهاية..

لاتستطيع رفع الراية البيضاء وتعلن الإنسحاب متى شئت

لست مخيرا أتسير أم لا

ستكمل رغما عنك

لن تموت ناقص عمرا

قال ..لكني قد أموت ناقص حب..سعادة..إهتمام..وفرح

قالو أستمر..

فكل نفس ذائقة الموت....

قال..نعم.....لكن ليس كل نفس ذائقة الحياة..!!!!

.....

نعم ...أنه يحدث من أول نظرة(7)

الحب لايقتل العشاق..هو فقط يجعلهم معلقين بين الحياة والموت.

)مجهول(

الشباب يتمنون الحب فالمال فالصحة...لكن سيأتي اليوم الذي يتمنون فيه

الصحة فالمال فالحب

)جيرالدي(

يقولون أن الحب سلطان لذلك هو فوق القانون !! فالسلطان يأمرفيطاع وبالتأكيد لايطيع هو أحدا.

ويشبه آخرون الحب بالحرب ,من السهل إشعال فتيل حرب لكن كيف لك أن تخمد نيرانها ...

هل نحزن على هؤلاء المعذبون الذين أبتلوا بحب من طرف واحد !!

أم نغبطهم لأنهم على الأقل جربوا ذلك الأحساس الرائع)الحب(.وهل نسمي من يمر عمره دون أن يعثر على الحب يوما أو يعثر هو عليه محظوظا !!...لأنه وفر على نفسه عذابات لا تنتهي ,أم نحزن عليه لأنه لم يترك الأرض يوما ولم تحلق روحه عاليا في سماء العشق مع العصافير والطيور المهاجرة ...

ربما أترك الجواب لكم....فلكل منا عذاباته وقصته وأسراره .

) بعد اليوم لن تكون أيامي متشابهة(

كان يقوم هو بصف سيارة تركها توا صاحبها في موقف السيارات الذي كان يعمل فيه بعد أن ترك له المفاتيح ليستطيع صفها بانتظام مع بقية السيارات التي يعج بها الموقف صباحا .

وخلال انهماكه في ذلك العمل دخلت هي ...تقود سيارتها الحمراء محاولة ركنها في مكان ملائم فهي ذاهبة إلى عمل

سوف تتأخر فيه ساعات طويلة.لكنها وللمرة الأولى تأتي لتوقف سيارتها هنا في هذا الموقف

..فحانت منه التفاتة غير مقصودة ناحية تلك السيارة الحمراء التي دخلت توا وكعادته ليأخذ المفاتيح ويقوم بإكمال مهمة ركن السيارة الداخلة وقعت عيناه عليها ..امرأة أربعينية برشاقة وملامح فتاة في الثلاثين من عمرها ..ترتدي ملابس أنيقة ذات الوان تشبه جمال الطبيعة .تفحصها هو جيدا ..في الحقيقة تسمرت عيناه عليها..نظر إلى تلك العينين الواسعتين فأحس بسحر غريب يشده إلى اللامكان واللازمان,تبسمت هي في وجهه أبتسامة خجولة كانت ترتسم على شفتيها عند تحية من يقابلها من الناس قبل بدأ حديثها معهم.

ترجلت من السيارة بعد أن اطفأت المسجل الذي كانت تستمع منه الى أغنيات صباحية تعودت أن تضعها كل يوم قبل أن تنطلق في رحلة طويلة تقود فيها سيارتها في الشوارع المزدحمة التي تضج بأصوات منبهات السيارات وشتائم الكثير من سائقي سيارات الأجرة لبعضهم البعض وهم في غضبهم المستمر على كل من في الشارع راكبا كان أم راجلا. بسبب ما يعانوه من كثرة الأزدحامات وحرارة الجو والكثير من هموم المعيشة التي يحملونها على كاهلهم فيصابون بالتوتر ونوبات من الغضب الجنونية.

حيته بتحية صباحية سريعة قالت)صباح الخير(ثم ذهبت لتسير مبتعدة كأنها فراشة ولدت أول أيام الربيع.في حين لايزال هو غارقا في ذلك السحر الذي أتى فجأة وذهب دون أن يترك له وقفة للتفكير في مايحدث..

حاول أن يفيق من هذيانه .مسح عينيه ليتأكد أن ماحدث للتو لم يكن حلما . مشى خطوات متثاقلة على غير عادته .ذهب باتجاه ذلك السحر .فتح باب تلك السيارة الحمراء وجلس في مقعد السائق مد يده ليدير المفاتيح لكنه وجد أن شيء ما يسحبه مرة اخرى إلى ذلك اللازمان واللامكان .

إنه عطرها !! يعبق في كل مكان داخل السيارة.قام بإدارة المفاتيح سريعا وركن السيارة في أقرب موضع متاح أمامه .ثم فتح الباب وخرج مسرعا كأنه يهرب من قدر مكتوب لطالما كان يخشى أن يأتي به الزمان يوما.

فهناك الكثير من الفخاخ قد تنصب أمامك وأنت في طريقك نحو التعرف للحب.فأغنية جديدة تسمعها وأنت برفقة أحدهم وتشعر أن شيئا ما يشدك إليه هي بالتأكيد فخ نصب لك .لأنك في طريق ألعودة قد تسمع تلك الكلمات وذاك اللحن من الراديو أو آلة التسجيل فتذكر حينها ذاك الزمان وتلك اللحظات عندما كنت برفقته وكنت تشعر أن خريف حياتك قد استحال ربيعا.

ما الذي يحدث لي كان السؤال يكاد ينفجر داخل رأسه دون أن يجد له إجابة واضحة.

من هي من تلك المرأة التي أخذت مني كل ما كان تحت سيطرتي منذ ثلاثين سنة.عقلي ..تفكيري..قلبي...ما سبب هيامي بتلك العينين اللتين لم أرهما إلا منذ عشر دقائق فقط .ذلك العطر الذي أيقظ بداخلي نيران لا أستطيع إخمادها.

مر به الوقت وهو على هذه الحال يسأل ولايجد إجابة.

أنتهى وقت عمله .ولم تعد هي .قدماه ترفض التحرك لمغادرة موقف السيارات .لابد لها أن تعود.سوف أنتظر!!

ظل يترقب الطريق بعينين ملؤها الشوق واللهفة لإمرأة لم يلتق بها إلا منذ ساعات قليلة. ثم فجأة أزهر الطريق وعبق عطر الياسمين في المكان كله ...لقد أتت !!! .

إنها هي كأنه يعرفها منذ سنوات.صوت ما يردد داخل روحه ورأسه)أنها حبيبتي(.

اقتربت هي من سيارتها ركبت وذهبت مسرعة واختفت وسط الزحام من امام عينيه كأنها لم تكن هنا ....

بعد أن تركته وحيدا تائها يكاد يغرق في بحر متلاطم الأمواج ليس له جرف ليلجأ إليه ولاحد لعمقه أو سعته.

كانت ليلته طويلة قضاها يتقلب على سريره بين يقظة وغفوة قصيرة يذهب فيها بعيدا مع خيالها .يراها تبتسم له ..يشم عطرها في الحلم كما في اليقظة.

نهض فجرا وعيناه تشكو نعاسا طرده بقليل من الماء البارد الذي رشقه على وجهه ورأسه .

تناول منشفته ونظر إلى وجهه المتعب في المرآه ....راودته فكرة فأبتسم...إنه صباح جديد .فإذا كانت تعمل هنا في المبنى القريب من موقف السيارات فلا بد لها أن تأتي اليوم ايضا وربما كل يوم.

كان متواجدا صباحا في مكان عمله مبكرا عن بقية

الأيام .يتنقل من موضع لآخر ليقوم بالعمل وعيناه تترقبان طريق دخول السيارات .لابد لها أن تأتي...كان هذا مايدور في رأسه كل لحظة .

وأيضا مرة ثانية أزهر الطريق ...لقد أتت..دخلت ..ترجلت من سيارتها .وجه مبتسم كالعاده كأنه نور الصباح المنبثق بعد ليل طويل.

كانت ترتدي هذا الصباح بنطال أبيض اللون مع قميص أزرق ينساب شعرها المتمرد على كتفيها كأنه الدنيا.

سارت فراشته .أمام عينيه المتعبتين ذهبت واختفت تاركة له قلب يحترق وعطر يملأ المكان ...

اذن لم يكن حلما ..أنها حقيقة ..ولأنها حقيقة سوف أعرف من هي ..كان هذا ما قد قرر فعله هذا اليوم ودون تردد...حاول بطريقة وأخرى أن يتقصى كل خبر عنها ..سأل كل من كان يظن أنه يعرف شيئا عن من يعمل في كل المباني المجاورة للموقف ..وبطريقة غير مباشره ولا تشير إليها شخصيا كي لا ينفضح أهتمامه بها

أستطاع أن يحصل على عدة معلومات..

إنها تحمل شهادة الدكتوراه في علم النفس وتعمل في المبنى المجاور بوظيفة مرموقة ..هذا كل شيء..ولكن لم يهتم بمعرفة أهم شيء بالنسبة له..هل هي مرتبطة ,متزوجة.

فقد لغى قلبه المجنون كل الاشياء الأخرى .لم يفكر بتلك

الشهادة الكبيرة التي تحملها هي مقارنة به وهوالذي ترك الدراسة في وقت مبكر ليعمل ويساعد أباه في أعالة أسرة مكونة من سبعة أشخاص..لم يفكر في الوظيفة المرموقة التي تعمل فيها مقارنة بعمله في موقف السيارات .لم يفكر حتى هل كانت بنفس عمره أو تكبره بسنوات..كل ذلك لم يكن مهما .

مايهمه فقط هو كيف يستطيع أن يتحدث إليها .كيف يخبرها بجنونه .كيف يقول لها أنه ولأول مرة يشعر أن كل مافي الكون مختلف .فالصباح أصبح أكثر إشراقا ,والليل له سحر عينيها ,.الساعات في غيابها لم تعد بنفس طولها المعتاد فهي دهرا كامل ..كان يريد أن يخبرها بكل شيء ..

أصبحت منذ ذلك اليوم حياته موزعة بين يوم يبدأه بانتظار قدومها صباحا ليتزود بخيالها لعدة ساعات منتظرا عودتها ظهرا ليلقي عليها التحية مودعا إياها بنيران تشتعل في قلبه تتصاعد كل ساعة إلى أن تصل حد الذروة خلال وحدته في ساعات الليل..

كان يحاول التقرب منها . ففكر ان يسألها بعد تحية الصباح السريعة عن مساعدته في اختيار شيء يقرأه ليقطع به وقت فراغه بعد خروجه من العمل ..ولدهشته الكبيرة رآها ذات صباح وهي تحمل له كتاب إختارته له كأول كتاب ليبدأ به رحلته مع القراءة.

كان يحمل عنوان)قواعد العشق الاربعون(لروائية تركية..ترجمت لها عدة روايات بلغات مختلفة .وقد كان كتابها هذا من أكثر الكتب شهرة.

كان يقضي الساعات يلتهم كلمات الكتاب إلتهاما .أنه هدية منها .لقد قرأته..كانت يداها تمسك به يوما .قد قلبت أصابعها وريقاته...يتحسس عطرها مع كل ورقة يقلبها...

ذات صباح وقف أمامها ليحدثها عن الكتاب متخذا منه ذريعة لإطالة وقت التحية الصباحية كي ينظر إلى عينيها ويغرق في سحرهما..

قال لها :_ أ كثر قصة احببتها في هذا الكتاب هي قصة تلك المرأة الأربعينية التي كانت تترجم المخطوطة والتي كانت تشكو زواجا خاليا من الحب ودفئ المشاعر...

أجابته هي.:_ أما أنا فقد أحببت ذلك العشق الروحاني الذي تتحدث عنه تلك الشخصية الصوفية الرائعة أنه)شمس الدين التبريزي(.فأنا أعشق الصوفية.والتصوف..أعشق الحب الإلهي غير المشروط وأؤمن أن كل مافي الكون هو واحد .كلنا واحد ..اننا نعكس صورة الله ..إنها تنعكس من أرواحنا ..لذا لابد لأرواحنا أن تصفو كي تعكس الصورة بوضوح.

كان يستمع لحديث قلبها وشفتيها وهو منفصلا عن كل ماحوله من العالم المادي المحسوس.فهي كل العالم .

قرر ذات يوم أن يبوح بكل مكنونات قلبه المجنون.لم يبال بعقله .لم يبال بما يجب وما لايجب...أستيقظ صباحا وقد عزم على أن يخبرها بكل شيء ..

عندما كان ينتظر قدومها في موقف السيارات جاء أحد العاملين في الموقف ليخبره أن صاحبة السيارة الحمراء لاتستطيع القدوم اليوم لأن أبنتها الوحيدة مصابة بالزكام وهي

تشكو من ارتفاع كبير في درجة الحرارة.لذا لاداعي لأن نترك مكان السيارة فارغا .سآتي بتلك السيارة الكبيرة لأركنها مكانها....قال له ذلك وذهب مسرعا...

نزل كلام الرجل كالصاعقة على رأسه.ما الذي سمعته للتو .لديها إبنة.!!...اذن هي زوجة وأم!!

أحس أن الأرض تدور من تحت قدميه .وأن الليل قد حل الآن و أظلمت الدنيا أمام عينيه رغم أن الوقت لم يزل نهارا.

قضى الأيام التالية كمن ثكل في اعز مايملك ..يخنق دموعا لايجب ان تظهر .ويحمل قلبا ممزقا بغصن ياسمين..

ليست لي..لم تكن لي يوما ..ولن تكون..

كانت آلامه تزداد كل يوم ولا تنقص تشبه تلك الآلام التي تعذب فارتر في قصة حبه لماجدولين في تلك الرواية الشهيرة)آلام فارتر(.

نعم إنه فارتر آخر...فقد ظل يعيش على خيالها ليلا..وعلى طلتها لتلقي عليه تحية الصباح نهارا.

ظل معلقا بين الحياة والموت...لم يكن خياره ابدا..

الحب ليس خيارا...إنه قدر..

نعم إنه الجنون ... إنه شيء خارج السيطرة..

لكن إذا كان القلب مجنونا...فلا بد للعقل أن يهذبه..

من ليس لنا ..سيبقى في الخيال لنا ..

ومانفعل بالواقع ...أذا كنا نسعد بالخيال !!

نيران تحرق القلب ...أفضل من أيام تمر دون معنى ..

أفضل من أيام متشابهة تستنسخ نفسها..

ردد جملة قرأها يوما في مكان لايذكره ...رددها وهو مغمض العينين جالسا داخل تلك السيارة الحمراء يستنشق عبير عطرها الذي يملأ المكان ويستمع من مسجلة السيارة إلى أغنياتها المفضلة.

كانت تلك من أجمل ماقاله محمود درويش ..ولأنه كان لايزال في أول طريق القراءة لذا لم يكن يعلم لمن تلك الكلمات التي توصف حاله .

)سأكتفي بك حلما فواقعك ليس لي (.

.....

.

....ياأبي....أنت في نظري كل الرجال (8)

....لذا ...أرجوك لا تكن)رجلا(...سيئا....

)أن أقسى انتقام ....هو النجاح الساحق(

تتكون عائلة ياسمين من اربع فتيات واخ واحد يسكنون منزل صغير مع أمهم .كان ترتيب ياسمين في أسرتها يأتي بعد الأخت الكبرى التي تسبقها بعامين فقط .

أن لمنزلهم دفئ أسري عجيب .وقلوب مترابطة بحب مع بعضها البعض كأنها حبات عقد من اللؤلؤ.

لم يكن غياب الأب عن الأسرة قد شكل فارقا .عندما تراهم وتتعرف عليهم تشعر بعظمة تلك الأم المتفانية في تربية اولادها .وذلك الكم من العرفان بالجميل الذي يكمن في قلوب بناتها وابنها لها .

فمنذ سنوات وهي تقف وحيدة تربي وتعول تلك الأسرة بعد أن هجرها زوجها تاركا لها ذلك الحمل الكبير غير مباليا بما سوف يحدث ..

كان هو أستاذ في اللغة العربية وشاعرا موهوبا .....لكن لم يعلمه ذلك الحس الشعري المرهف الإنتماء الى أسرته ,فهاجر يطوف دول العالم يتذوق الفن والشعر تاركا خمسة أرواح

تتخبط في زحام الحياة .

كرست أم ياسمين كل حياتها لتربية بناتها وأبنها الوحيد.زرعت حب العلم والطموح في نفوسهم , جعلت منهم قلب واحد يفرحون لفرح أحدهم ويبكون لبكاءه.

كانوا جميعا متفوقين في دراستهم ,فكل واحد منهم حصل على شهادة جامعية.ثم تبعها بإكمال دراسته العليا.حاصلين على شهادات عالية ووظائف مرموقة.

أكملت ياسمين دراستها الجامعية في كلية الصيدلة ثم حصلت على شهادة الماجستير بامتياز وباشرت عملها في احدى المؤسسات الحكومية.قضت عدة سنوات في ذلك العمل محققة نجاحات متوالية.

كانت كفاءتها وحرصها في عملها له طابع غربي ..ففي الحقيقة ذلك الحرص والأبداع في العمل والوصول في المواعيد المحددة , لم تكن من صفاتنا نحن الشرقيين.

لكن لا أستطيع التعميم فلكل قاعدة شواذ.

التقيت أنا بياسمين خلال أحدى زياراتي لتلك المؤسسة لإكمال بعض الأعمال.فقابلتني لأول مرة أتعرف عليها فيها بابتسامة طفولية محببة تنم عن روح تعشق الحياة كما يعشق طفل عالمه الذي ينظر الى كل شيء فيه بدهشة كبيرة.

لم يمض وقت طويل حتى اصبحنا صديقتين مقربتين,الحقيقة لم أكن انا الصديقة المقربة الوحيدة لها,فقد دهشت بكمية الأصدقاء المقربين وحتى غير المقربين الذي

كان يعج بهم عالم ياسمين .

فتاة تملك شعبية لايمكن منافستها في قلوب الكثيرين ومن كلا الجنسين ومن كل الأعمار ,لم يكن لأصدقائها صفات أو طابع محدد ,فهم من كل شرائح المجتمع ,شابات وشباب ,أناس في الأربعين أو الخمسين من عمرهم,فتيات متأنقات يجارين الموضة وأخريات يلبسن غطاء الرأس والحجاب,كان لديها اصدقاء وصديقات من الديانة المسيحية وكانت تحبهم وتعتز بصداقتها لهم كأعتزازها بصديقاتها واصدقائها المسلمين.

لايمكن لإمرأة بتلك الشخصية الرائعة أن تصل إلى الرابعة والأربعين من عمرها دون أن ينبض قلبها يوما بالحب لأحدهم,أو دون أن تكون الآن زوجة وأم رائعة ,فهي رائعة في كل شيء.

في عملها ,في صداقاتها,في احتوائها لكل من حولها ,في ابتسامتها التي تخطف القلوب.

لكن...لماذا تصر على البقاء بعيدة عن الحب , عن الأرتباط بزوج,هل تكره الرجال !!

لكن من يستطيع الأجابة بنعم وهي التي تعامل كل اصدقائها من الرجال في العمل وخارجه بكل بساطة وتلقائية مما يجعلها تلقي منهم احتراما وودا كبيرا.

كانت تفرح عندما تحقق نجاحا حتى لوكان صغيرا فتغرق عيناها بدموع الفرح وكأنها حققت انتصارا في حرب ما...

ماذا يحدث لتلك الفتاة ..اثارت قلقي فعلا تلك الصديقة...أنتابني شعور بالخوف عليها ...فهي توزع حياتها بين العمل والعمل ثم العمل!!!...في الحقيقة كانت مدمنة عمل ومدمنة نجاحات.

كأنها تسابق شيئا ما,او كأنها تهدي نجاحها مغلف بورق الهدايا ومربوط بشريط لامع يمتد الى داخل صندوق ملغم ينفجر في وجه من يحاول فتحه .

أنها تهدي نجاحها الملغم له هو!!

لذلك الوجه الذي فارقها منذ كانت في الرابعة عشرة من عمرها,زهرة تتفتح للتو لتنظر إلى صورة الرجل,أول رجل في حياة كل فتاة , وجه أبيها,فوجدته وجها مشوها , رجل تنقصه الرجولة ,شوه صورة الأب الحنون وصورة الرجل ,فأن رجل يتنكر لكل الذكريات ,يتنكر لوجوه وابتسامات أطفاله البريئة ,يتنكر لزوجة احبته واحرقت حياتها لتذوب كشمعة في بيته. أب كهذا .لابد أن يترك في مخيلة أبنته الغضة صورة مشوهة عن الرجال.

كانت ياسمين تعشق الحياة , متوهجة كيرقات الضوء,لكن جرحا عميقا يسكن قلبها,لايمكن لأحد أن يلحظه,لأنها كانت تدفنه في أعماقها .

كانت تعلم أن ذلك الأب المتنكر لأبوته كان يتتبع أخبارهم بعد أن أكل قلبه الندم ,كان يرى صور بناته في صفحاتهم الشخصية ,يقرأ عن نجاحاتهم فيحترق قلبه ألما لأنه لم يكن

جزء منها,لم يشاركهم فيها يوما,ومع كل نجاح تحققه ياسمين,كانت تضعه على صفحتها الشخصية في الفيس بوك لتلقي به كلغم ينفجرفي وجه مشوه لرجل كان يرتبط أسمه باسمها رغما عنها ,رجل أفقدها ثقتها بكل الرجال ,تركها لتختار أن تكون امرأة وحيدة بإرادتها .

كانت تغلق قلبها عند اقتراب أي خيال للحب أو التعلق برجل,خوفا أن يكون زوج وأب يشبه الصورة المشوهة لذلك الأب الهارب.

كانت تعلم أن أفضل أنتقام هو النجاح الساحق..

فلم تبق شيئا إلا وبرعت فيه..فتشعر حينها بالإنتصار ولذة الإنتقام.

هل يمكن لصديقتي هذه أن تحصل على صورة أخرى للرجل بدل تلك الصورة المشوهة !!!

هل سيأتي يوما أحدهم ليرمم جرحها العميق,..هل يستطيع رجل ما أن يثبت لياسمين أن ليس كل الرجال كما كانت تعتقد هي ... من يدري....

ففي هذه الحياة الكثير من المفارقات,...ربما سيأتي. يوما ذلك الرجل .ليلون حياتها ..بصورته الرجولية الكاملة ,فيلتئم الجرح الغائر وتورق أشجار قلبها من جديد..

.....
.....

عندما أكملت بناء سفينتي.....جف البحر

وعندما حطمتها.....نزل المطر

جميلة أنت..نعم....ويحق لك الغرور (9)

لكن.....لا تتعجلي

فربما يكون أمير السندريلا...

متخفيا برداء شحاذ...

شارع المتنبي ..وعينيها (1)

كم اتمنى أن أضع نهايات سعيدة لما أنقل من الواقع من قصص كما استطاعت شهرزاد أن تضع تلك النهايات لحكاياتها التي تبدأها ليلا وتختمها صباحا بالفرح والسرور.

لكن لواقعنا رأي آخر...

وإليكم تلك القصة التي لم يضع لها القدر نهاية...ولازالت تنتظر ..وأنا اخط تفاصيلها هنا على الورق...

كان واقف في ركن من أركان حرم الجامعة الكبير خلال فترة الإستراحة ما بين المحاضرات .غارقا في تأملاته .

فمحمود لم يكن طالب متفوق من طلاب الكلية الطبية فحسب إنما كان يتمتع بموهبة فريدة في السرد القصصي وكتابة الشعر والقطع النثرية .بالطبع كان من القراء النهمين.ووجوده في القسم الداخلي للطلبة أثناء فترة الدراسة في الجامعة أتاح له فرصة البحث والتقصي عن كل الكتب والروايات التي كانت تباع في شارع المتنبي في وسط العاصمة بغداد والذي يمتد لأقل من كيلومتر ويبدأ بتمثال للمتنبي مطل على نهر دجلة وينتهي بقوس بارتفاع حوالي عشرة أمتار نقش عليه بيت الشعر الأشهر للمتنبي :

)الخيل والليل والبيداء تعرفني...والسيف والرمح والقرطاس والقلم (.

ويعتبر شارع المتنبي جزيرة ثقافية معزولة عن عراق العنف والتعصب..ذلك الشارع الذي يعج بالمكتبات وباعة الكتب الذين لايملكون محلات لعرض كتبهم فيفترشون الأرصفة على كلا الجانبين من الشارع يبيعون الحياة والحب والسياسة

والثقافة والسلام في كتب ومجلدات.وينشط عادة في يوم الجمعة.

يعود تاريخ هذا الشارع العريق إلى أواخر العصر العباسي .وفيه مباني قديمة كانت محاكم مدنية والمسماة حاليا بمبنى)القشلة(وفي نهاية شارع المتنبي يقع مقهى الشابندر التراثي القديم .

يعج الشارع بالكثير من الكتاب والشعراء والرسامين. والنحاتين وكل المتذوقين للفن والحياة من كل الاعمار والأديان والطوائف.

هناك في شارع المتنبي في بغداد .تجد اللحمة العراقية الحقة .

أناس أتوا من مختلف محافظات العراق ومن كل منطقة من العاصمة بغداد .يتجولون بين الكتب .يتصفحون ,يقتنون مادونوه في مفكرة الجيب الصغيرة من قائمة ما يحتاجونه من كتب ,ثم لايلبث النهم الأدبي لديهم للتطلع إلى المزيد من العناوين البراقة للكتب المعروضة هنا وهناك ,فيعودون لبيوتهم وقد أنفقوا آخر درهم في جيوبهم.

وأذا نظرت إلى ناحية أخرى من ذلك الشارع العجيب الذي سمي على اسم شاعرنا الكبير أبو الطيب المتنبي ,ستجد رجال ونساء قد جلسوا في حلقات وهم ينصتون لأحد الشعراء وهو يقف في وسط الحلقة ليلقي عليهم آخر قصيدة له ,وفي حلقة أخرى هناك ترى الجالسين أو الواقفين يتجاذبون أطراف

الحديث عن مضمون ذاك الكتاب أو هذه القصيدة وهم يحملون أكواب من االشاي العراقي الساخن يحتسونها بلذة كبيرة رغم حرارة الجو وشمس العراق الحارقة .

هناك ,نعم هناك ترى اللحمة العراقية بين ابناء البلد الواحد ,فلا تستطيع معرفة إذا كان المتحدث مسيحي أم صابئي ,مسلم أم يؤمن بأفكار أخرى تخصه هو ,ولا تميز المسلم السني من المسلم الشيعي,فالكل هناك سواسية ,لاطائفية ولا حروب أهلية ولاتفرقة ,فحين يدخل الفكر والأدب في مكان يخرج الجهل والتعصب من ذلك المكان ذليلا صاغرا.

وخلال رحل ة التأمل تلك التي كان محمود غارقا فيها داعبه خيال فتاة تقطع ساحة الجامعة لتمر عبرها إلى الطرف الآخر حيث توجد هناك قاعة المحاضرات .أنتبه من أحلام يقظته ليتفحص تلك الحمامة التي تسير أمامه الآن.

عينان بلون العسل تحكي قصص الماضي والحاضر .شعر بني ينساب بنعومة على الأكتاف ,جسد ذا انوثة طاغية تحاول تلك الفتاة المتحفظة أن تخفيها,وجه يختلط في محياه الكثير من الكبرياء والسحر معا.

شعر بومضة أضاءت قلبه ,وحرارة العشق تغزو أوردته ,تعلق قلبه بها وكأنه ينتظر رؤيتها منذ قرون .

حاول محمود في الأيام التالية أن يجمع كل مايمت بصلة لتلك الفتاة التي سرقت العقل والقلب بلحظات من مرورها الخاطف,عرف أنها تصغره بسنتين ,وتسكن العاصمة بغداد أما هو فكان من أحد المحافظات في جنوب العراق,خزن اسمها

في مكان عميق داخل قلبه ,وكان متأكد أنها لن تخرج من ذلك المكان مهما حدث.

لم تكن تنقصه الحيلة والذكاء فقد كان يعلم أن الأعتراف المفاجئ بالحب لامرأة سيكون سلاح ذو حدين .فلابد من التروي قليلا .لذا قرر أن يدخل ضمن حلقة الأصدقاء المحيطين بها .كانوا يصغرونه بسنتين .بذل جهده ونجح في أن يجلس معهم في أحدى جلسات الأستراحة داخل كافتيريا الجامعة .كل ماكان يطمح له هو أن يراها عن قرب .أن يسمع صوتها , يتأملها وهي تتكلم وتلفظ الحروف . أن يبحر في عينيها.

كانت جلسة سريعة لم تتجاوز النصف ساعة على أقصى تقدير .تبادلا خلالها بعض الجمل والمداخلات حول الكتاب والكتب فهي الأخرى كانت تملك حسا أدبيا لابأس به.

خرج محمود من ذلك اللقاء القصير محملا بحب يملئ تجاويف قلبه بالكامل .حب لن تقدر على محوه أو النيل منه السنون .ردد في نفسه كلمات خرجت كأنها قرار لاتراجع فيه

قال:_تلك الفتاة هي حبي الكبير.... قدري الذي سيقتلني.

لم يتجدد ذلك اللقاء بينهما مرة أخرى .ظل يراقبها فقط ينتظر الساعات واقفا في أركان حرم الجامعة الكبير يمني نفسه بمرورها أمامه .فراشة تطير ولاتمشي على الأرض.

مر شهر واحد على محمود لكنه لم يستطع الأحتمال أكثر .كاد

قلبه أن ينفجر من فيض حبه, لاطاقة له بانتظار أمر معلق بين سماء وأرض . فالأنتظار مؤلم والنسيان مؤلم وأشقى العذابات هي إلا ندري ما القرار.

عندها قرر المواجهة ,طلب من إحدى صديقاتها المقربات أن تخبرها بأنه يريد التحدث إليها.

تحقق له ما أراد ,ففي الحقيقة لم ترفض هي سماعه ,فلم يكن هناك مايشغل قلبها ,عاى العكس كانت حرة طليقة تنتظر ورود الحب على أرضها مثل شمس الربيع الدافئة ,لم يكن محمود على علم بما يجري لها ,فكل ماكان يغلف وجهها هو الشموخ والكبرياء,لن يستطيع هو أو غيره أن يعرف الحقيقة ,كان كل من ينظر لوجهها يرى فتاة رائعة الجمال تمتلك قوة وصلابة لامثيل لها ,هي وحدها كانت تحمل ثقل تلك الصدفة الصلبة تغلف بها حقيقتها,تحتمي بها كما تحمي الحلزونات أو القواقع أجسامها الرخوه من التهشم ,فتغلف نفسها بصدفة قاسية يصعب كسرها.

هذا مايحدث عندما تفقد الفتاة والدها وهي لاتزال طفلة صغيرة ,ستفقد السند والحماية ,ستتضور جوعا ليد حانية تمسح جبينها,وخاصة عند غياب الأخ الحنون ,فإذا كانت من ذوي الحظ العاثر فسيكون لها أخ قاس غليظ الطباع وستبقى متعطشة لصدر حنون تضع رأسها المتعب عليه لتستريح,وهذا ماكان يحصل ل)هند(تلك الفراشة الرقيقة التي سرقت لب محمود من أول نظرة.

جلست لتستمع ,لم يكن محمود يمتلك وسامة أو مظهر جذاب. .الحقيقة كل ماكان يمتلكه هو ذكاء متقد وقلم لكاتب وروائي في بداية الرحلة.جلس هو قبالتها .نظر نظرة خاطفة لتلك العينين الساحرتين وبدل أن يستمد القوة منهما فقد تماسكه ودارت الدنيا من حوله.كانت يداه ترتجفان ,جف حلقه,تلعثم,تبعثر,لم يستطع أن ينطق بجملة واحدة .

قال لها: صدقيني ياهند أنك تريننني الآن أرتجف .أبتلع ريقي بصعوبة ,لكن هذا ليس ما أنا عليه في الحقيقة ,لم أكن يوما هكذا,لا أعرف ما الذي يجري لي ,فقدت كل قوتي أمام عينيك....هند....

أنا أحبك.

كانت هند تتمعن فيه بكل هدوء وثقة ,فمقابل تلعثمه كانت تجلس كأميرة في عرشها ,سألته::

لماذا أنا بالذات,لماذا احببتني انا دون غيري

قال لها:_ إنها) ومضة(...ومضة ياهند ,اضاءت امامي دون وعي أو تدخل مني ,لم اتدخل في قدرية حبك ,إنه قدري.

لم يكمل ,كان يلفظ تلك الكلمات بصوت متقطع مرتجف .قاطعته هي وقالت:

انا آسفة ليست لدي نفس الأحاسيس ,اسمحلي بالأنصراف.

تركته وذهبت,تركته يحترق,يتكسر قطع صغيرة ,لم يكن يفهم السبب الحقيقي وراء انسحابها,أتهمها بالقسوة ,حاول جر نفسه بصعوبة من كرسيه ومشى بخطوات بطيئة يائسة كأنه

يمشي في جنازة .

في بيت الطلبة الواقع في منطقة)الباب المعظم(في بغداد والذي يبعد مسافة قصيرة عن) كلية الطب(حيث كان يسكن طلبة المحافظات العراقية وكذلك الطلبة العرب الذين أتوا للدراسة في الجامعات العراقية ,كان محمود يرقد على فراشه محدقا في السقف العالي لغرفة يشترك فيها أربعة طلاب ,تتجاذبه الأفكار بكل إتجاه .

ما الذي حدث كيف لم أستطع أن اكون على طبيعتي أمامها ,هل هذا كل شيء ,هل أنتهى الحلم بكلمة) انا آسفة) ..,هل ذهبت هند إلى حيث لن تستطيع يداي أن تلمسها أبدا ..

كانت الدموع تنساب من عينيه مع كل فكره توحي بخسارة أكيدة للحب الذي دخل حياته مباغتة وقلبها رأسا على عقب.

لم يزر النوم جفنه تلك الليلة .

كانت السنة الدراسية حاسمة بالنسبة له فقد كان في المرحلة الأخيرة من السنوات الست في كلية الطب , حيث كانت قصة

حبه تلك تجري في الفترة الزمنية من الأيام المعدودة قبل الأمتحانات النهائية.

لم يخفى على الأصدقاء المحيطين بمحمود الحالة التي هو عليها ,فقد كان منهارا يائسا يتمنى أن يتمسك بأي أمل حتى لو كان كاذبا كما يتمسك الغريق بقشة ,عندها تطوع أحد اصدقائه المقربين بأن يذهب ليتحدث مع هند ويحاول شرح ماعجز محمود عن شرحه.

كانت تلك الاحداث تجري متزامنة مع اضطراب البلد وسوء الأحوال الإقتصادية بسبب الحصار الذي فرض على العراق بعد حرب الخليج..,حيث كان الجميع يعاني من شظف العيش وضيق الحال.

وقف سامي على بعد ثلاث خطوات من هند وفي قبالتها مباشرة ,تحت تلك الشجرة الوارفة في وسط ساحة الكلية والتي شهدت الكثير من الدموع والإبتسامات لأحبة جلسوا تحت ظلالها يرسمون أحلامهم للمستقبل البعيد.

تكلم سامي مايقارب الساعة محاولا استمالة قلب هند الذي تحجر ولم يرأف أو يلين.

قال لها سامي :

تمهلي قليلا ياهند,حاولي أن تمنحيه فرصة أخرى,تكلمي

معه,أن في قلبه حبا لا أعتقد أنك ستصادفين مثله مرة ثانية في حياتك أبدا.

لم تستمع إليه,تحجرت,تصخرت,قالت لسامي وداعا يازميلي فأنا قلت مالدي ولاأستطيع أن أكذب على قلبي.

حاولت صديقة مقربة لهند متعاطفة مع حالة العاشق اليائس أن تجرب مع هند محاولة أخيرة لتستميل قلبها تجاه محمود ,فبدأت تلمح لها بين الحين و الآخرإلى الموهبة العظيمة لديه .

_ أسمعيني ياهند,لقد كتب محمود فيك شعرا وقد ذكر اسمك في قصيدتها الا تريدين أن تستمعي لها

أجابتها هند بكل برود :إذا كان هو نفسه لايهمني فلم تهمني قصيدته وما قال فيها!!!!

لم يثني ذلك الخنجر المغروس في قلب محمود وذلك الخذلان الذي شعر به من الإنكباب على دراسة المحاضرات والكتب المكدسة امامه لإجتياز الامتحانات النهائية ليتخرج في تلك السنة بمجموع كبير نافس فيه بقية زملائه المتفوقين على المقاعد الأولى للتدريب في إحدى المستشفيات التعليمية الكبيرة داخل العاصمة بغداد,حيث أكمل دراسته بعدها ليتخرج طبيبا متخصصا في الطب الباطني بامتياز.

طوال تلك السنوات لم ير هند أبدا ,لكنه كان يحملها في قلبه وينام جفنه على خيالها ليلا ,رغم مرارة الخيبة والإنكسار الذي أورثه حبها ورفضها له في قلبه.

مرت على تخرجه وقصته تلك ثلاثون سنة تزوج خلالها بفتاة كانت في نفس المرحلة الدراسية معه وتكن له حبا كبيرا.

مرت مرحلة الحرب وما أعقبها من حصار وضيق في تلك الفترة على هند وأمها بقسوة وشدة كبيرة ,فلم يكن لهما مورد سوى راتب تقاعدي صغير لوالدها المتوفي ,ولم يكن عملها كطبيبة في المستشفى يعود عليها بشيء مفيد سوى زيادة الخبرة والتدريب الذي لابد منه ,فقد كان ما يتقاضاه الطبيب في فترة الحصار تلك لايستطيع أن يدفع به مبلغ أجرة سيارة التكسي التي يذهب بها لمرة واحدة صباحا إلى عمله.

مرت السنوات وتزوجت هند من رجل التقت به صدفة أثناء عملها في المستشفى .كان زواجا تقليديا سريعا قضت فيه عدة سنوات وترملت بعدها بموت زوجها بحادث سيارة في منطقة الحارثية داخل بغداد تاركا لها بنت في السادسة من عمرها وولد صغير لازال في السنة الرابعة من العمر.

!!شكرا لك عزيزي مارك...لقد وجدتها(2)

كان محمود جالسا على كرسيه الدوار داخل عيادته بعد أن أكمل معاينة مرضاه وهو يأخذ استراحة قصيرة يشرب خلالها فنجان قهوته ويقلب شاشة هاتفه الجوال ليتابع أخبار الأصدقاء في صفحته الشخصية على الفيسبوك ويرد على تعليقاتهم بخصوص آخر كتاب له والذي نفدت طبعته الأولى من السوق بعد أسبوع واحد من صدوره.

لمح في القائمة التي تحمل عنوان)أشخاص قد تعرفهم(وجه لطالما مزق فراقه قلبه ,أرتجفت يده فجأة وسقط الهاتف منه على الأرض.

يالله !!! أرحمني يارب .

أنحنى والتقط هاتفه وأعاد فتحه, قلب الصفحات بسرعة وبيد ترتجف,عثر عليها أخيرا,إنها هي .تلك العينان اللتان طالما

مزقا قلبي وجننت بهما فأخرساني عند أول لقاء,أنها حبيبتي.

كان هناك مؤتمر يقام في أحدى قاعات فنادق الدرجة الأولى في بغداد لعرض آخر المعلومات والأكتشافات العلمية في الطب الباطني وقد اشترك فيه محمود كمحاضر مع مجموعة كبيرة من الأساتذة ليديروا دفة الحوار العلمي داخل قاعة الفندق.وقد حضر جمع كبير من الأطباء الزملاء من كافة محافظات العراق ليشتركوا في هذا الحدث العلمي الفريد.

عندما انهى محمود محاضرته ذهب ليستريح قليلا ويأخذ فنجان من القهوة ليعينه على إكمال بقية الساعات الأربع المتبقية لحين نهاية الإجتماع الموسع هذا.حين انتهى من إحتساء قهوته تمشى ليدخل القاعة فاصطدمت بكتفه اليمنى امرأة كانت خارجة للتو من باب القاعة ,ألتفت الأثنان في وقت واحد ليعتذر أحدهما من الآخر ,نظر اليها فإذا بها تقف أمامه بنفس ذلك البهاء الذي آسره قبل ثلاثون سنه أو أكثر,خرج صوته بصعوبة فائقة قال :: لازلت جميلة كما أنت !!

تبسمت هي في وجهه هذه المرة ,قالت::أهلا محمود...آسفة لم أنتبه فقد كنت على عجل..لكنها فرصة طيبة إذ التقينا بعد كل تلك السنوات .

قال لها محمود::ولازلت أحبك,ظالمة أنت...فقد كسرت قلبي.

كان جوابها دلبوماسيا ومقتضبا.

_أرجوك يازميلي لاتتحدث هكذا ,إننا أصدقاء الآن وقد أفرحني لقاؤك.

مرت الأيام والشهور وكل واحد منهما يتابع أخبار الآخر عن بعد.

كان هو يكتم أنفاسا تتحرق شوقا للقياها ,محاولا أن يشغل نفسه بدوامة كبيرة من العمل كي ينسى أو يتناسى خيالها الذي يسكن أروقة روحه المتعبة.

بينما كانت هند تتابع أخباره كأي صديق آخر, فوجئت بما تسمع أو ترى ,هل هذا حقا هو محمود !!! من هذا الرجل الذي رفضت كيف يمكن أن يكون بكل تلك الروعة ولم أشعر!!!

استمرت بمتابعته ,قرأت كتبه الثلاث التي صدرت في التحليل والتأمل والرواية,تابعت كل لقاءاته مع القنوات الفضائية والتي كان يتكلم خلالها بكل تلقائية وعذوبة,كانت تكرر الفديوهات المسجلة لتلك اللقاءات ,حفظت صوته,احبت طيبته.

إنه رجل متحضر وأب حنون عوضا عن إنه ذا مركز مرموق يلمع نجمه في الطب والشعر والأدب ,إنسان متواضع طيب القلب.

هل يعقل أنه هو نفسه ذاك الذي جلس أمامي يتعثر في أذياله!!

امتلأ قلبها به ,أحبته بكل عقلها وقلبها.عندها أمسكت هاتفها وطلبت رقمه.

الووووو.

انساب صوته في أذنيها كأنه الحياة.

_اسمعني للحظات فقط ,ولاتتصل بي بعدها,فأنا لاأريد منك شيئا.

سأقول لك مالم أشعر به سابقا....لكنه اليوم أصبح سبب آلامي.

محمود .....لقد أحببتك.

كنت أنت من أبحث عنه عمر مضى بأكمله,كان محمود الذي أراه اليوم والذي أحببته صادقة مختبئ داخلك

لكنك أنت من ظلمني ,,,ولست أنا من كانت ظالمتك

كيف لامرأة أن تقبل برجل يرتجف أمامها كأنه سعفة مصفرة لاتستطيع الصمود في وجه العاصفة!!!....

كل امرأة منا تريد رجل قويا لتحتمي به...

تريد جدارا صلبا ..ليكون سندا لأطفالها...

وكل ذلك كان فيك يامحمود..كان داخلك,,وفي أعماقك...لكنك لم تساعدني على رؤيته.

أغلقت الهاتف...ومسحت دموعا مالحة انسابت بحرارة على وجنتيها

بعد نصف ساعة...رن هاتفها

الووو...

_هند ..حبيبتي..اليوم لن يقف أمامي لأحلق معك في الجنان رفضك كما وقف أمامي سابقا

اليوم... أستطيع برمشة عين أن أحتضنك بدل أن أحتضن خيالك الذي أقرح أجفاني ولم يزل .وقد شارفت على عامي الخمسين

لكن ماذا أقول لرحلة طويلة..لرحلة قضيتها مع زوجة مخلصة وابنتان,كنا نبني بيتنا كما يبني الحمام أعشاشه.

عشنا فيه على المودة والرحمة...

فانا لم أكن خائنا يوما...ولن أكون.

إن حبك ياهند يتكسر كعبرات بكاء في صدري ,أشقى به ويفترسني

وواقعي وزوجتي وابنتاي يسحبني إلى ناحية أخرى.

اتصلت بك لأخبرك أنني كتبت فيك قطعة نثرية للتو.,لكني لم أستطع أن أكملها,لم اقوى على أن اضع لها نهاية ,سأترك النهايات مفتوحة.

فالأمل وعد مجاني لا أحد يحاسبنا عليه,من يدري

فربما للقدر رأي آخر..

ربما يرحمني من عذابي الرب يوما.

اقرأيها ياهند ...ستجدينها على صفحتي الشخصية.

ربما سترين الآن انها تلقت المئات من الإعجابات..

فقرائي يحبون ما أكتب...ولايعلمون أنني أتمزق..

ربما ,,,,نكون معا...أ نا وأنت ..يوما ما

ربما..

وداعا...حبيبتي

لاأستطيع أن أتحمل رؤيتكم تتألمون..أحزانكم (10)
تقتلني !!!!

أن عيش الحياة ليس خيارا مطروحا.فلابد أن تعيش الحياة,الخيار الحقيقي هو كيف تعيشها.

)هنري وارد بيتشر(

لايكمن الألم الرئيسي لمعظم المحن في المعاناة نفسها بقدر مايكمن في مقاومتنا لها

)جين نيكولاس جرول(

صديقتي)المتعاطفة(...هكذا كنت أسميها .

غالبا ستكون عذاباتنا اكبر وأعمق حين نمتلك قلبا طيبا,إحساسا عالي بالآخرين إلى حد أن نعيش معهم داخل أحزانهم وخيباتهم.فنمرض حين يمرضون ونبكي حين يبكون .

ماأجمل أن يكون لنا مثل هؤلاء الأصدقاء والرفاق المتعاطفون.كم ستهون علينا الأزمات والمشكلات .

لكن ماذا سيحدث لهؤلاء المتعاطفون أن أصبح أحساسهم النقي هذا سيفا مسلطا على أعناقهم أو كابوسا مرعبا يجثم فوق صدورهم وينخر أرواحهم الصافية.كيف نستطيع أن نشعر بآلام الآخرين دون أن نحرق أرواحنا ألما وحسرة .

لابد لنا أن نبقى أقوياء الروح أصحاء الأجسام كي نكون اليد الحانية والبلسم لجراح الآخرين من أحبة وأصدقاء .....لكن السؤال هو كيف نفعل كل ذلك دون أن نؤذي أنفسنا .

كانت صديقتي تملك قلب يسع الكون لكنه فائق التأثر لايمكنه أن يبقى متماسكا وهويستمع الى آلآلام والآهات والخيبات تنهال أمامه .

كانت تصاب بتوتر شديد عندما نشكو لها أو أمامها من ظلم وقع بنا أو حزن يجتاحنا. فيبدأ قلبها ونبضها بالتسارع وتصاب بصداع وأرهاق شديد .هي تتمنى لو أنها تستطيع رسم البسمة على شفاه كل من يعيش على هذا الكوكب .

إنها تطلب المستحيل دون شك.

قالت لنا في أحد الأيام إنها تشكو ألما في رأسها يصاحبه دوار وتعب شديد فنصحناها بمراجعة أحد الأطباء للإطمئنان عليها.وفي اليوم الثاني أتت تحمل ممجموعة من الأوراق الطبية تضم تحاليل كثيرة وفحوصات ليس لها أول من آخر ,قالت لقد اخبرني الطبيب أنني مصابة بفقر الدم الشديد ,رغم اتباعي طريقة صحية تماما في برنامجي الغذائي وبقية الفحوصات سليمة ولايوجد أي سبب لما يحدث لي من هبوط غريب في نسبة الهيموكلوبين في الدم ,حتى إن الطبيب وصف لي علاجا من أقراص الحديد للتأكد هل أستجيب لها أم لا.

بعد مرور عشرة أيام أتت مستبشرة واخبرتنا أن صحتها تحسنت وارتفعت نسبة الدم لديها والحمد لله.واستبشرنا خيرا نحن بدورنا وأقمنا لها حفلة صغيرة نشكر الله فيها على

سلامتها مما كنا نرتعب ونخاف منه أو وجود مرض مستعصي على العلاج .

بقيت على حال جيده لفترة لاتتجاوز الأسبوعين ثم عاودتها الأعراض مرة أخرى .عندما جاءت احدى الصديقات وهي تبكي وتخبرنا عن مشكلة ابنتها المتزوجة من مهندس معماري يسكن أحد الدول العربية المجاورة .حيث تزوجت تلك المسكينة منه على أمل الأستقرار وإنشاء أسرة متحابة فإذا بها تجد نفسها معلقة بين بيت اهلها وبينه ,لايأتي ليأخذها لتعيش معه ولايتركها لتداوي جراح زواجها الفاشل .

كانت الأم تبكي وهي ترى سنوات الشباب تتسرب من عمر ابنتها التي بقيت كأنها بيت هجره أصحابه وبنى فيه العنكبوت بيوتا تبعث في من يراها الإحساس بالإكتئاب والحسرة.

ماكادت صديقتي ال) متعاطفة(تستمع إلى تلك القصة حتى شعرت بضيق شديد في صدرها وصعوبة في التنفس .قالت لي :صدقيني لاأستطيع أن أحتمل كل ما أسمع .لم كل هذا الظلم ,أين مخافة الله ,أين الضمير.....أستمرت المسكينة على هذه الحال تمرض وتقضي أيام كثيرة من العلاج ثم ترجع فتمرض ثانية.

قلت لها يوما أتعلمين إنك تشبهين كوكبنا!!!

رمقتني بنظرة استغراب فهي لم تتوقع مني ماقلته لها.لكني أكملت تأملاتي وعذاباتي وأخبرتها بما يجول في خاطري من أفكار مجنونة.

قلت لها عزيزتي ألم تلاحظي أن كوكبنا بدأ يمرض,نعم إنه

مرهق ,متعب,يشكو ظلم سكانه وطغيانهم ,لقد كان تربة صالحة ومياه عذبة ,ومع كل ظلم وحرب ودماء تسفك على تربته وتتلون بها مياهه تصيبه وعكة مناخية .يفقد ذاكرته وينسى هوية فصوله,فيمطر بغزارة في أواخر الشتاء وتفيض الأراضي ويغرق الفقراء ومن ناحية أخرى ينقص منسوب الأنهار وتصاب الأراضي الخضراء بالتصحر, و قد يأتي بصيف حارق على غير عادته فينسى أن هناك فصل اسمه الربيع ,ويلبس نيسان رداء الصيف .

إن كوكبنا متعب.إنه يشبهك تماما ,تشتركان في الصفاء والطيبة وتتألمان وتمرضان من رؤية الظلم يتوج ملكا في حفل تنكري رخيص.

كم أتمنى أن أجد لك علاج دائم!!

فأضع لك شريحة للذاكرة لكني سأصممها بطريقة خاصة .

ساجعلها تتكون من وجهين ,وجه ذا سعة لامتناهية تختزنين فيه الذكريات الجميلة .ووجه آخر بسعة قليلة جدا ,تمتلأ من فورها وتغلق تلقائيا عند سماع الأخبار الحزينة والمؤلمة.هكذا فقط ياصديقتي تتمكنين من العيش على هذة الأرض.

لكن وأرضنا ..... ,كيف لنا أن نجد لها علاجا ....,كيف تعود أراضيها الخضراء ونسيم الربيع العليل ....,كيف تعود سماءها صافية لم تلوثها الغازات والروائح العفنة المنبعثة من القنابل والبارود والجثث المتفسخة .

كيف ...هل سنجد يوما جوابا..

.....

قد يقولون لك أنك مختلف ,ولكن هل يوجد أثنان (11)
متشابهان حقا!!!

إذا أردت أن ترتقي بنفسك ساعد شخصا آخر على الإرتقاء

بوكرتي.واشنطن

أحكم على أغنية الطائر بتأثيرها في ارواح البشر ,وليس
بجودتها الموسيقية أو حتى مابها من أبداع

لين ايزرر

أتى يوما رجل من المزدرين والمعيبين للإختلاف والتجديد إلى بيكاسو ذلك الرسام المتفرد في طريقة رسم لوحاته ,وقال له لماذا لاترسم لنا شيء نفهمه ,شيء واقعي مثل باقي الرسامين ألا تجيد الرسم !!

تناول بيكاسو فرشاته وبدأ برسم حبات من القمح على الأرض وعندما انتهى منها جاءت دجاجة كانت بالقرب منه وأخذت تحاول التقاط حبات القمح لتأكلها.اندهش الرجل من صورة تلك الحبات وكأنها حبات حقيقية نثرت على الأرض وليس رسما,فقال :

أبدعت أيها الفنان أذن لماذا لاتستمر بهذه الطريقة في الرسم

أجابه بيكاسو:
)لأنني لاأرسم للدجاج(..!!!...

حقاهناك من يثيره الأختلاف ,يزعجه,ويعتبر المجددين والمبتكرين أناس غريبي الأطوار وغالبا يضعون انفسهم في دائرة العيب والحرج بسبب إسلوب ونهج لم يتعود الناس عليه أو ليس دارجا أو راسخا في القدم ويخرج عن كل ماهو مألوف ومعتاد عليه.

أو قد يحدث العكس .فترى الناس يقلدون من ابتكر شيئا

جديدا في أي مجال كان من مجالات الحياة ,في الفن أوالتجارة أوطريقة الملبس والمأكل اوتزيين المنزل أوأي شيء آخر ممن لم يروه أو يسمعوا به سابقا.فتراهم يتبعون ذاك المختلف ويقلدونه تقليدا أعمى دون أدنى فارق.

وكل فريق من هؤلاء سواء المقلدين أو المناهضين للإختلاف والتميز هم سيئو الحظ غالبا لأنهم فقدوا طعم السعادة المصاحبة للإبتكار والإختلاف.

أذكرأن فيلما كرتونيا مصورا كان يعرض كفاصل في سلسلة برنامج)أفتح ياسمسم(الذي كان يقدم للأطفال كبرنامج تعليمي ثقافي هادف.فيظهر في الفيلم الكرتوني رجل يسكن منزل صغير في قرية وحوله عدد من المنازل المتناثرة هنا وهناك وقد كان الرجل يحب التميز والتفرد والتعبير عن هواياته وأفكاره فكان يفعل كل يوم شيء جديد ليزين به منزله ,فمرة يزرع شجرة كثيفة الاوراق ترنو العين إلى خضرتها وجمالها ليجد بعد ساعة واحدة أن الجميع من أهل القرية في المنازل المجاورة قد قلدوا مافعل وزرع كل واحد منهم نفس الشجرة أمام منزله.

ومرة قام بطلاء سور حديقته الخشبي باللون الأزرق وبعد أن أنهى العمل دخل ليجلس ويتناول قهوته مسترخيا سعيدا بأن منزله الآن لايشبه بقية المنازل المجاورة .ثم بعد ساعات نظر من نافذته ليتمتع برؤية الأزهار والبحيرة الرائعة التي تتوسط القرية ففوجيء بأن كل جيرانه قد قاموا بطلاء أسوار حدائقهم الخشبية باللون الأزرق.وهكذا استمر الحال بهذا الرجل المتميز كلما يطلي نافذة أو يزرع أزهارا أو يقوم بتغيير

أي شيء في شكل منزله لايكاد يفعل إلا وقد شاهد كل جيرانه قد قلدوه ليكونوا نسخة طبق الأصل منه .فأصاب الرجل توتر شديد ولم يطق البقاء في تلك القرية فحمل حقيبته خلف ظهره في منتصف الليل وخرج مهاجرا منها ,وعندها حانت منه التفاتة إلى الخلف ليودع منزله بنظرة وداع أخيرة لكن..يا للمفاجاة !!!

ماذا وجد.....لقد حمل كل من في القرية حقيبته خلف ظهره وخرج يتبع الرجل ليقلده فقط !!! وهو لايعرف على وجه التحديد لماذا ,

ولم يتبعه وإلى أين هو ذاهب.

كانت ترمي تلك القصة الكرتونية إلى انتقاد التقليد الأعمى وتعليم الأطفال أهمية التركيز على الذات واكتشاف المواهب .

فلولا الإختلاف لما اصبح لدينا كل تلك الفنون والعلوم والأشياء الأخرى الجديدة ولبقينا نجتر ماتركه لنا الأجداد من تراث .

لكن لايزال هناك من يرتعب من فكرة التميز ,ويرمي من يأتي بفكرة جديدة بأنه غارق بالخطأ إلى قمة رأسه.

فلو تصورنا أن أول ناطق بالشعر الحر ارتعب من خرقه لقوانين الشعر العمودي وخجل من نفسه لكونه يعبر عن أفكاره بكلمات غير مقيدة بأوزان وقوافي الشعر العمودي .لما أصبح اليوم لدينا)شعرا حرا(.

ولو تخوف الرسامون من تلك الخطوط والأشكال التي تخرق

قوانين مدارس الرسم الكلاسيكية .عندها لما قدموا لنا)الفن التشكيلي(.

الحقيقة ما يثير التعجب هو لما هذا الخوف من الإختلاف !!,لماذا نرتجف من فكرة أن نكون مختلفين عن بعضنا ونحن في الأساس خلقنا مختلفين.

فبصمات أصابعنا العشرة تثبت على وجه الدقة إننا متفردون ولايشبه أحدنا الآخر,وبصمة قزحية عين أحدنا لايمكن أن تشبه شخص آخر.

حتى صوتنا له بصمة خاصة بنا,كل نسيج من أنسجة جسمنا يحمل مؤشرات ودلالات تؤكد أنه لنا وحدنا ,نتفرد به من بين الستة مليارات من البشر اللذين يعيشون على ظهر هذا الكوكب.

اذن لماذا نخشى أن نظهر بمظهر مختلف عن بعضنا.

فمثلا قد يحدث أن تأتي دعوة لإحدى السيدات للذهاب إلى حفلة عشاء أو ماشابه فنراها تجتهد في اختيار فستان يبدو أن لا احد يستطيع تقليده أو العثور على نسخة منه في محلات الملابس النسائية.

فتذهبتلك المرأة مبتهجة إلى الدعوة. وعند دخولها تصعق لمجرد أنها شاهدت سيدة أخرى ترتدي نفس الفستان .فتصاب بنوبة غضب لأنها تصورت انهما تبدوان متشابهتين.

إنها تريد أن تكون متميزة.

ياعزيزتي أنت بالفعل مميزة ,وبالتأكيد ستبدين مختلفة.فالفستان يفقد هويته الأصلية لحظة ارتدائه ويتقمص

هوية صاحبته,سيأخذ لونه من لون عينيك ,وجماله من تقاسيم جسدك,وسيكون أنت لأنه يلتصق بك بصوتك بحركاتك وحتى مشيتك.

لابد لهؤلاء المناهضون للإختلاف والتميز أن يتأملوا قليلا أو كثيرا في كل ماحولهم.

أن كل ماخلق الله سبحانه هو شيء متفرد بذاته لايشبه غيره .

ألآلاف أو الملايين من النباتات والأزهار بمختلف الأشكال والأحجام والعطور,أنواع لا تعد ولا تحصى من الطيور والأسماك كل لها صفتها وبصمتها الخاصة التي تلون بها الطبيعة ,ليس هناك خجل أو حرج في أن نكون نحن ..أن نكون كما خلقنا الله.ولا نتبع القطيع.

يقول أحد الكتاب :

)إذا أحببت شيئا وأحسست إنه قدرك فاذهب إليه ,إذهب لإتمام قدرك .

فوحده المغتبط قادرا على إشاعة الغبطة في من حوله(.

المهم أن تكون بكليتك حيث تختار أن تكون ,أن الإنسان المنقسم على نفسه لايفلح في مجابهة الحياة كما يجب .

كن كما أنت,عبر عن أفكارك كما تشعر بها ,لاتكن نسخا مشوهة من غيرك.

فأنت صورة رائعة خلقها وأبدع في خلقها الله الواحد الاحد.

حرر روحك من قيود المألوف ودعها تنساب بعفوية كما هي

لاتخجل من كونك مختلف.

(12) ضعف الشخصية,الأنانية,البخل..

هذه الصفات هي أمراض نفسية ... تجعل صاحبها منبوذا..

وتؤذي من حوله....

القوة وضعف الشخصية(..)

القوة الحقيقية ليست في معاداة ألحياة .بل هي ألمقدرة على ألعيش فيها وتحقيق ألغاية التي خلقنا من أجلها.

يقول)ثيودور روزفلت(أبذل كافة جهودك.أستخدم كل طاقاتك في أي مكان أنت فيه.

كنت حاضرة في أحد الأجتماعات لمناقشة مواضيع في مجال عملي .وما أثار أنتباهي هو أحد ألأشخاص الجالسين أمامي .فقد كان شخصا سريع ألاستفزاز بشكل كبير. وقد

حدث أن دخل في مناقشة مع شخص آخر يجلس جواره ,ومع زيادة حدة النقاش وحمي الوطيس بينهما قام الرجل منتفضا وهو في أقصى درجات الأستفزاز وقرر ألانسحاب من حلقة ألاجتماع المعقود كأنه طفل منسحب من مجموعته وقت أللعب بعدما شعر بالأنزعاج من بقية الأطفال .

بالطبع لم يكن تصرف هذا الرجل صحيحا .فحين تكون لدينا فكرة راسخة ونعتقد كل الأعتقاد بصحتها فما علينا سوى جمع ألحجج والبراهين وألأدلة ألعلمية لإثبات وجهة نظرنا للغير .وله ألحق حينها في أن يقبلها أو يرفضها.

أن تكون شخصا يستطيع الآخرون أن يستفزوك بسهولة فهذه ولاشك علامة على أشكال أو موضع ضعف في ألشخصية.

الثقة بالنفس هي أهم مقوم من مقومات ألشخصية ألقوية,وهي أهم ماعلينا تنميته في أطفالنا كي ينشؤوا أفرادا ذوي شخصية قويمة.

فالتاريخ العربي مليئ بوقائع تبين مدى أهمية الثقة بالنفس.

فقد روى المؤرخون العرب أن ألتتار كانوا يدخلون في حرب نفسية مع الشعوب التي يغزونها فيقومون ببث جواسيس لهم بين الجماهير لتحطيم روحهم المعنوية عن طريق نشر الإشاعات عن مدى قوة التتار ومدى بطشهم .ولذا حينما كان التتار يدخلون إحدى المدن كان سكانها يفرون ,أما من يبقى منهم فكان يبقى هيكلا .جسد دون روح .

.....

)ماهي الأنانية ...وماهو حب النفس(....

فرق كبير بين تلك الصفة المكروهة والتي ينعت من يتصف بها بالأناني وبين حب ألنفس .فكل منا لابد أن يحب نفسه ويرضى عنها ليستطيع أن يرتفع بذاته ويسمو بها.

أما الأنانية فهي الفردية الشرسة وحب التملك والغيرة الجنونية التي تدفع صاحبها إلى السيطرة على أملاك الغير دون وجه حق.

ويندرج من الأنانية اشكال كثيرة منها الإتكالية والأعتماد على الغير وإراحة النفس والصعود على أكتاف وظهور الآخرين بضمير ميت ودون مبالاة.

فالشخص الأناني يريد ويحلل كل شيئ لنفسه لكنه يحرمه على غيره.

ويندرج من الأنانية ايضا ألغرور وألتكبر.فالأناني يرى كل من حوله عبيد وخدم عنده.فهو متبع لهوى نفسه حتى لو كان فيه ضرر للآخرين.

فالأناني شخص لايقبل ألنصيحة من احد لأنه يجد نفسه هو الأفضل كما أنه لايحب الأعتراف بالخطأ فهو يجهل أن

الأعتراف بالخطا دليل على أحترام عقول الناس.

يذكر علماء النفس أن التربية الخاطئة في الصغر وعدم تعليم الأبوين لأبنائهم أهمية حب الغير يؤدي بالأبناء إلى أن يتصفوا بصفة الأنانية والحب المفرط للذات .أما أذا كانا الوالدان هم في الأساس مصابان بالأنانية فتلك هي الطامة الكبرى.

قصت لي احدى النساء يوما حكاية عن جارة لها .تقول كنت ادخل عليها بيتها احيانا فأجدها وقد أغلقت باب غرفة نومها عليها لتنفرد بتناول آخر قطعة مثلجات كانت في ثلاجتها قبل أن يسبقها إليها أحد أولادها فيأكلها !!

وكانت غالبا ما تخبأ قطع الحلويات اللذيذة في خزانتها حتى لايجدها ابناؤها .فقد كانت تحب تفضيل وتقديم نفسها على أي إنسان حتى لو كان فلذة كبدها .

من الواضح أن صفة الأنانية قد تغلبت لدى هذه المرأة على صفة ألأمومة.

وحقيقة أني ذهلت عندما سمعت من المرأة قصة جارتها تلك فأنا لايمكن أن أتصور أن تكون أي أم بهكذا أنانية .لكن ماسمعته من بقية للقصة هو ما جعل قلمي يخط هذه الكلمات وأسترسل في الكتابة عن الأنانية وحب الذات .

فبقية القصة كانت أشد من بدايتها .حيث كان لتلك الجارة أولاد وبنات وكانوا قد تعلموا منها تلك الصفة السيئة .فكان حبهم لذاتهم يطغى على أي شيء آخر في هذه الدنيا.

فعندما طلق ولدها الأكبر زوجته تركها لتعيش هي وابناؤه

الأربعة في بيت قديم قامت المرأة المطلقة المسكينة باستأجاره وأضطرت للعمل كي تستطيع دفع الأيجار الشهري للمنزل بينما استحوذ هو على البيت الذي كانوا يسكنون فيه وقد أتى بزوجة جديدة لتسكن معه متمتعين بكل الأثاث والحاجات التي اخذها عنوة من طليقته وأم أطفاله.دون أن يرف له جفن أو يخزه ضمير.

الدنيا مليئة بمثل تلك القصص .ولابد لنا من الأنتباه على مانربي عليه اولادنا فهم يقلدوننا ويتبعون خطواتنا.

وللحرمان الشديد أيضا في الصغر دور كبير في تحويل الطفل إلى شخص أناني محب لذاته في الكبر.سواء كان حرمانا ماديا أو عاطفيا.

فتعنيف الطفل وإهانته أمام الآخرين وكسر شخصيته سيدفع به الى كره المحيطين به والإفراط في حب نفسه.

لذا فلابد للمصاب بهذا المرض المزعج)الأنانية(أن يحاول جاهدا الشفاء منه .فهناك فرق بين التمني والإرادة .أي لابد أن يكون صادقا في محاولته لتغيير نفسه .بتصحيح الأفكار الخاطئة التي تربى عليها أو أكتسبها من محيطه.وبالتعاون مع الآخرين مثل الإشتراك في الأعمال الجماعية للمساعدة وفعل الخير.

.....

)البخل(...

آه منك أيها البخيل ..فأنت تعيش في الدنيا عيشة الفقراء وتحاسب في الآخرة محاسبة الأغنياء.

والله أنا أرثي لحال هؤلاء البخلاء .فأنهم كالجمال العطشى والماء محمل على ظهورها.وقد تعودنا أن يصفوا لنا البخيل في قصص جداتنا على أنه ذاك الذي يقتر على نفسه ويكنز الأموال والذهب والفضة.ويقولون لنا أن الغني البخيل هو أفقر من المتسول.

وإن شاخت كل العيوب فأن البخل يبقى شابا.

لكننا اليوم نرى في مجتمعنا أصناف جديدة من البخلاء .

يعملون بشتى الأعمال التجارية وغيرها ويقيمون العزائم والولائم لمجاملة وكسب الأعوان والمتملقين .لكن لو نظرت لحالهم لرأيت أنهم يرتدون ثياب أكل عليها الدهر وشرب ومن يراهم دون أن يعرف حقيقتهم يظن أنهم من مستحقي الصدقة وذلك لرثة ملبسهم وبخلهم على أنفسهم.

للجاحظ طرائف وقصص كثيرة في كتابه)البخلاء(.وهذه واحدة من طرائفه.

يحكى أن أحدهم نزل ضيفا على صديق له من البخلاء وما أن وصل الضيف حتى نادى البخيل أبنه وقال له .يا ولد عندنا ضيف عزيز على قلبي فاذهب واشتري لنا كيلو من اللحم ومن

أجود أنواع اللحم.ذهب الولد وبعد مدة عاد ولم يشتر شيئا.

فسأله أبوه .أين اللحم

فقال الولد.ذهبت إلى الجزار وقلت له أعطنا أحسن ماعندك من اللحم.

فقال الجزار .سأعطيك لحما كأنه الزبد.

فقلت لنفسي .اذا كان كذلك .فلماذا لا أشتري الزبد بدلا من اللحم.

فذهبت الى البقال .وقلت له أعطنا أحسن ماعندك من الزبد.

فقال لي .سأعطيك زبدا كأنه العسل.

فقلت أذا كان الأمر كذلك فالأفضل أن اشتري العسل.

فذهبت الى بائع العسل .وقلت له أعطنا افضل ماعندك من العسل.

فقال الرجل.سأعطيك عسلا كأنه الماء الصافي.

فقلت لنفسي.إذا كان الأمر كذلك .فعندنا ماء صاف في البيت.وهكذا عدت دون أن اشتري شيئا.

فقال له الأب .يالك من صبي شاطر .ولكن فاتك شيء.

لقد استهلكت حذاء ك بالجري من دكان الى آخر.

فأجاب الأبن.لا يا أبي ..فقد لبست حذاء الضيف .

ماذا أقول عن البخل والبخلاء ...أنه بالفعل مايقال عنه

المضحك المبكي.

الأفضل أن أختم كل هذا بشعر لأبي نؤاس عن البخلاء.

يقول شاعرنا الكبير أبو نواس..

رغيف سعيد عنده عدل نفسه..

يقلبه طورا وطورا يلاعبه ..

ويخرجه من كمه فيشمه..

ويجلسه في حجره فيخاطبه...

وأن جاءه المسكين يطلب فضله...

فقد ثكلته أمه وأقاربه...

يكر عليه السوط من كل جانب...

وتكسر رجلاه وينتف شاربه...

.....

انا وأنت كوطن وأبناءه..

تعب هو من تذمرنا ..وتعبنا نحن من العيش فيه

هجرناه.....فهجرنا

رحنا نجوب الأرض بحثا عن وطن بديل

مرض هو بحزن أم ثكلى..

ومرضنا نحن..... بالحنين الى الوطن...

.....

إن افترقنا يوما...

وساركل منا في طريق...

وقطعنا جغرافية الأرض ...

من القطب الى القطب..

لاتنسى أن الأرض كروية..

ولازالت تدور..

قد نلتقي يوما...

بصدفة إلهية..

عندها. ...تعرف علي مجددا..

قد نصبح اصدقاء..

أو ربما...ربما..

...أكثر..

عندما يختنق الحب ويحتضر....من الجاني أنا أأأم أنت (13)
أم كلانا

لم أكن ادري أن قلبك هو كنزي المفقود (1)

وهل هناك أجمل من الإنسان ال)معطاء(...وهل هناك من يحصل على ألم اكثر منه !!!

كانت تلك هي كل مشكلتها ,إنها تعطي ,كريمة بكل شيء,بالحب ,بالجنون,بما تملك من أشياء مادية ومعنوية.هي خلقت هكذا .تغدق العطاء .ولا تنتظر مقابل سوى مقابل واحد كانت تأمل أن تحصل عليه...إنه الإهتمام.

لم تكن)سارة (امرأة كباقي النساء .إنها قبيلة من النساء.

قلب نقي متسامح, تواضع لاحد له, وذكاء متقد.سرقت الدنيا منها سقفها الذي تحتمي به .فقد تيتمت وهي لاتزال في التاسعة من عمرها .فقدت والدها الذي كان يعاني من مرض افترس جسده طيلة سنوات حيث أسلم الروح بعد ذلك الكفاح الطويل مع المرض.

لا تذكر سارة من أبيها إلا الشيء القليل.

ففي ذهنها بعض الصور المتفرقة له .كلما اعتصرت ذاكرتها لتتدفأ من صقيع الوحدة محاولة تذكر صورة أبيها, فلاتجد إلا

عرفتني متمردة شقية...

وأول هدية أهديتني....كانت حبس روحي وقتل مرحي

فهل تعتقد يا سيدي....أن ما تبقى من جسد

ينفع أن يكون سكن لك !!!

(2) ..جفاف الروح...

سارة تلك, قبيلة النساء,كانت تفيض روحها كل لحظة بطاقة عجيبة .لايمكن أن تنتهي.شيء ما يغذي روحها المتعبة فتستمر براعمها الخضراء بالنمو والتكاثر.

دخلت أول صباح لرواق المدرسة التي نقلت اليها لإكمال مايتطلبه منها المنهاج الوظيفي لقانون العمل الذي يخص كل من يحترف التدريس,عملت كمدرسة منذ تخرجها وبعد انتهاء الفترة المطلوبة للتدريس في مركز المدينة تم نقلها لتكمل سنتان او ثلاثة في احدى المحافظات كأحد الشروط لذلك القانون.

تعرفت على الزملاء اللذين كانوا ممن يسكن في تلك المنطقة او ولد فيها أساسا.بهرهم جمالها وتميزها وأزعجهم غرابة مظهرها الذي يعتبر طبيعيا لو كانت في العاصمة .لكن بمجرد خروجك خارج حزام مايسمى بالعاصمة ,تبدأ الوجوه والتقاليد واللهجات تختلف باختلاف كل منطقة عن جارتها.ومايكون مقبولا وطبيعيا هنا يصبح غريبا ومستهجنا هناك.

بعد أسبوع من مزاولتها لعمل التدريس في تلك المنطقة وحيث كانت تسكن مع بقية الفتيات في بيت خصص للمدرسات اللواتي أتين من خارج المنطقة لإكمال المدة المطلوبة منهن .التقت في صباح ذلك اليوم بمدرس شاب يعمل في نفس المدرسة ويسكن في تلك المدينة, حيث ولد وترعرع فيها .لم تلتق به أول يوم أتت فيه لأنه كان في إجازة لمدة اسبوع.كان هذا الشاب مختلف عن كل من في تلك المدرسة .والتي كان أغلب التدريسيين فيها من سكان تلك المدينة.

احمد الذي وقف امامها ليلقي التحية ويرحب بها كظيفة جديدة على المدرسة كانت ترتسم في عينية الكثير من كلمات الأعجاب .فضحته عيناه ولطالما كانتا تفضحانه في كل مايختلج في صدره .كانت عيناه الرائعتان تشيان به.فلونهما العسلي المائل إلى الخضرة وتلك اللمعة المشتعلة فيهما ,كانت مرآة تعكس كل ما يشعر به .كانتا خارج السيطرة.في غضبه او يأسه,حزنه أو فرحه.كانتا هما من يشي به.

شاب هادئ صامت .قد يصل هدوءه وتوازنه الى أن نصفه ب) الحليم(لأنه لم يعرف الغضب يوما .ولايخلو من ثلج يفرش به كل أروقة روحه يستخدمه كوسيلة ومنهاج ليواجه به الحياة بثبات وقوة لكنه بالتأكيد سيكوي به من تكون حبيبة له.

فللثلج والصقيع ألم الكوي بالنار ايضا .كلاهما يسحق الجلد ,ويدمى الروح.

أول لقاء كان بينهما ولدت فيه زهرة الصداقة .صديقين إلى

الأبد.وكأن هذا ماقاله قلب كل منهما وهو يهتف خلف سجن من الأضلاع.

تكلما ,ضحكا,أكلا معا,سارا كل يوم في أروقة المدرسة يستمع هو لشقاوتها وطفولتها وتنتظر هي منه أن يكون اكثر من صديق!!

لماذا اكثر من صديق لم تكن تعلم على وجه التحديد.هناك شيء ما يربطهما معا ,لم تستطع تفسيره لأنها لازالت في طور بحثها عن الحب الأسطوري في اللاوعي لديها.أي دون ان تعي ذلك ودون أن تدري أنها تبحث .ولذا هي لم تفهم ما الذي يشدها إلى احمد .لكن ماكان واضحا لديها كأنه القمر ليلة اكتماله في كبد السماء هو تلك الصداقة الرائعة بينهما, فقد اخذ احمد كل ادوار الرجال في حياتها .كانت تشعر أنه أباها الذي فقدته ,واخاها الذي هاجر ,والصديق الذي لم تخفي عنه سرا .

اما هو فقد كانت حكايته أكبر وأعظم من ذلك.فقد كان خارجا من قصة حب وصلت إلى أبواب العش الذهبي لكنها انهارت امام عقبات الواقع وطلبات العروس الحبيبة وأهلها .فافترقا وهما يمضغان مشاعر حب كبير حفر له احمد في قلبه قبرا وارتدى اليأس والاكتئاب كثوب حزن عليه.

حتى عندما التقى بسارة تلك الفتاة المتناقضة المتوازنة !! تلك الطفلة الشيخة, تلك الحورية الترابية البرج, مواليد برج ترابي تضج منها نار الحياة وحرارة البراكين.

لم يستطع اول مدة زمنية أن ينسلخ من ذلك الحب

المدفون .ومثلها تماما لم يفسر ما الذي يحدث له مع سارة .لم يرد أو لم يصدق انه ربما كان حبا متخفيا بأروع ثوب اسمه الصداقة .

لم يكن يستطع أن يفارقها .كل مافيها يستوطن قلبه ,وهي تقف أمامه بشعرها الأشقر الغجري الذي يتعدى خصرها ببعض السنتمترات ,وذلك الجسد الرشيق والأبتسامة التي تسلب العقول ,عيناها تتسللان الى الثلج المفروش داخله فيسيل حنينا وشوقا.

قررا ان يتزوجا !! لماذا ..لم يعرفا حقا ,لكن مايعرفانه أنهما لايستطيعان أن يقاوما الشوق اكثر من ذلك .

قال لها اخاف أن افقدك ,....أن تضيعي مني.... لكن لا أريد ان اكرر نفس الخطأ مرة أخرى ,فقصتي تلك مع من احببتها سابقا قد انتهت بسبب كثرة طلباتها والتي لم استطع أن اوفرها لها ولم تقبل هي ان تتنازل عنها برغم حبها الكبير لي .لذا أنا اضع امامك كل ما اعانيه من صعوبات تمنعني من الزواج برغم تمسكي الكبير بك .فهل تقبلين ياسارة وأنت ابنة العاصمة الغناء أن تعيشي معي هنا في هذة المدينة المنغلقة على نفسها ....,وتذكري أنني لا أملك بيتا وحتى لايمكنني أن أستأجر واحدا لنعيش فيه .لذا لابد أن نسكن في بيت والدي ,ولا أملك من مهرك إلا القليل ,هل ستتحملين زواج كهذا يا سارة

كان صادقا في كل ماقاله كما أنه كان صادقا بخوفه من ان يفقدها أوان تتزوج أحد غيره.

لكن تلك الفتاة الوحيدة,تلك الرقيقة القوية ,أجابته بكل صدق وثقة .

قالت انت كل ما أريد يا أحمد .لوكنت اضع المال والغنى شرط لزواجي لكنت تزوجت منذ وقت طويل .مادمت أنت معي لن اخشى شيئا ,ولن اطلب اكثر مما تستطيع أن توفره لي ,سنعيش بالتعاون ,.أنا اضع يدي في يدك منذ اللحظة .وسنسعد معا.

لم يخفي عنها مفاجأته بموقفها المخالف لمواقف اغلب نساء مدينته ,فلطالما كانت الأثواب والمفروشات والمصوغات الذهبية من الشروط التي لايمكن تجاوزها مهما بلغت درجة الحب فالزواج واقع وليس حلم أو مشاعر حب مدفونة في القلوب ولابد من ان يظهر بمظاهر الترف والغنى .

قال لها ما أروعك يا سارة !!! انت ملاكا حقا ولولا موقفك هذا لم أكن سأتزوج في حياتي ابدا.

عاشت معه في شظف وتقتير,كانت تعتبره قبيلتها بأكملها .صارت له اما واختا وزوجة وحبيبة.كانت تحرم نفسها من فستان جديد او طعام او نزهة لتوفر لمستقبلهما قدر ماتستطيع .

لكن احمد وخلال السنوات الأولى من زواجهما كان لايزال يحمل ذلك القبر في قلبه ويرتدي اليأس والأكتئاب للحب الذي كان .فشقاوتها وطفولتها لم تستطع ان ترسم البسمة على شفتيه ,ونار انوثتها المتأججة لم تذيب ثلج كآبته ويأسه .

كان يكره البقاء في المنزل لأنه يعتبره مكان لفشله اذ يسكن

في بيت والده ووالدته ولايملك منزلا خاصا.فيحاول ان يقضي اغلب اوقاته خارجا يتسكع مع الأصدقاء ينتظر ان ينتهي اليوم وتدق ساعة السندريلا في الثانية عشرة ليلا كي يحين موعد رجوعه للمنزل .

وطوال تلك الساعات كانت تبقى سارة وحيدة في منزل كل من فيه يراها غريبة عنهم .غريبة بأصلها وشكلها وأفكارها .ولطالما خبأت دموعا كانت تحرق اضلاعها .دموع الخيبة والوحدة والأهمال.فبدل ان يحيطها احمد بحبه واهتمامه كان يبتعد عنها ويبالغ في اظهار عدم الاهتمام والحزن وكرهه للحياة .وبدل ان يعتبر يدها الكريمة الممتدة دوما بعطاء لاينضب عونا له وروح طيبة ارسلها الله ليحيا الفرح في قلبه من جديد . كان قد تعود على ذلك العطاء واصبح يراه واجبا على سارة .اصبح يتعمد ان يستمرا بالسكن وسط بيت والده حتى بعد ان اصبح دخله جيدا . كان يرفض ان يستأجر بيت صغير ليسكنا فيه رغم كل الدموع والالام والتوسلات .

وخلال تلك الايام كانا قد اكتشفا ان احمد يعاني من مشكلة تمنعهما من الانجاب .فبعد أن استلما معا التقرير الطبي للفحوصات التي اجريت لهما معا .تبين ان المشكلة في عدم الانجاب تقع لدى احمد اما سارة لم تكن تشكو من اية مشاكل صحية.

عند دخولهما الى المنزل سألت والدة احمد عن نتيجة الفحوصات فسكت احمد,عندها اجابتها سارة .لاشيء نحن الاثنان بخير ولا نشكو علة .هكذا اخبرنا الطبيب .

خبأت سرا كبيرا كهذا داخل قلبها لم تخبر به احدا ,لم يعرف اي احد من عائلتها او عائلة احمد مايشكو منه زوجها .حفاظا على كبرياءه الذي قد يجرح بحديث كهذا .وطلبت منه ان يبدا بالعلاج كي يرزقهما الله طفلا كما نصحه الطبيب.

تلقت هي كل الكلام الجارح .كان كل من في بيت زوجها واقاربه يتهمونها بالعقم وينصحونها بمراجعة الاطباء وكل ذلك كان على مرأى ومسمع زوجها احمد .الذي يظل ملتزما للصمت وهو يرى الجميع يتهم سارة امام عينيه فلاتنتابه اي لسعة في الضمير كي يخبرهم الحقيقة .ويرحم زوجته المسكينة من كلمات جارحة وانتقادات لاتملك ردا عليها.

كان الجفاف يزحف الى روح سارة ببطء.صار احمد يبدع في تعطيش تلك الزهرة اليانعة.فعلى الرغم من حبه لها الا أنه كان يحب نفسه اكثر .كانت الانانية مصطلح مهم في حياته .

كان يرفض ان يذهب للعلاج من عقمه .ويرفض الاستقلال بمنزل مستقل رغم تمكنه ,لم تطرق مسامعها طيلة سنوات زواجهما كلمة احبك او حبيبتي .لكنه رغم كل ذلك كان طيب القلب نقي السريرة .يحترم سارة ولم يسمعها كلمة توبيخ او اهانة قط.

كان لجفاف روح سارة علامات ظهرت عليها .فقصت شعرها الطويل وتركت مساحيق زينتها .واخذت ملابسها تبتعد عن سمة الأناقة والتميز اللذان كانا من اهم صفاتها.

اختفت بسمتها وعلا وجهها الشحوب.كانت تشبه زهرة تحتضر في ساعاتها الأخيرة...انه جفاف الروح.

ولأن الازهار تحتضر وتموت بصمت ...ودون ان يصل لسمعنا صوت احتضارها..لذا لابد لنا ان ننتبه للعلامات.

علامات احتضار الارواح الطيبة تشبه علامات احتضار الازهار.

سترى الجفاف والذبول وانحناء الغصن الاخضر ...سترى روحا عطشى تموت صامتة.

.....

.....

لم امت بعد.....لكني احتضر

لست قويا ....لكني اخترت

السلام على النضال...

لست سعيدا...لكن لابد من الكذب

سأتظاهر بالسعادة...

سأستمر ...واسقي شجرة الصفصاف

علها ...تثمر يوما..

ابني الحبيب ...هل ستنقذ روحي (3)
المحتضرة

لو كانت سارة امرأة غربية لفهمت ان العمر أغلى من أن يهدر بالمحاولات المستمرة لنفخ الروح في زواج يحتضر من اول يوم له .

فالنساء الغربيات يعتبرن أن سنوات عمرهن هي أغلى مايملكن ولابد أن يعشن كل لحظة فيها بسعادة ومتعة.لكنها امرأة شرقية, والشرقيات في بلادنا يفنين العمر الغالي في زواج مهما كانت درجة فشله أو قساوة العيش تحت خيمته.

لأنها لو أعترضت اوحاولت النجاة من سيف ذلك الزواج ستعتبر منبوذة ظالمة في نظر مجتمعها الشرقي حتى لو سحق الظلم رقبتها. فتقاليد المجتمعات الشرقية تفضل ان تخرج المرأة من بيتها بعد رحلة الزواج بتابوت خشبي على ان تخرج منفصلة عن الزوج.بمايسمى ال)طلاق(.

لم تكن تلك الفكرة الأهم التي تسيطر على تفكير سارة بل تلك المشاعرالخفية التي تربطهما هي وزوجها احمد معا دون ان يحاولا تصنيفها تحت مصنف معين .لم يعترفا يوما انها حبا ,لكن مايثير الاستغراب والاندهاش في تلك العلاقة انهما كانا يعيشان تحت سقف واحد منفصلين تماما فكل واحد منهما غارق بعالم من الافكار لايشبه عالم الثاني ,صامتين لايتبادلان إلا بضع كلمات ضرورية لاستمرار روتين الحياة اليومي.لكنهما بنفس الوقت لايستطيعان الابتعاد عن بعضهما!!

في ظل هذا الزواج الذي يحاصر صقيعه اضلاعها فتتجمد كل

حواسها شيئا فشيئا .لتفقد جمال تذوقها للحياة .قررت سارة ان تستمر في زواجها وان يكون لهما طفل وبيت مستقل ليشبها في مظهرهما الأسر السعيدة المستقرة .اما الخريف الذي اتسمت به تلك العلاقة الزوجية ليس مهما فهو امر واقع ولامفر منه .كانت تعتمد في قراراتها تلك على بعض من حرارة النار المشتعلة في روحها من حبها السابق للحياة والذي بدا يخبو ويتلاشى.كانت تعتقد انها تستطيع الاستمرار .

امرأ ة عنيدة مثلها كان لابد لها ان تستمر بالتفاؤل حتى لو كان الواقع الذي تعيشه عكس ذلك.

كانت تتوجه الى الله بدموع غزيرة ودعاء ليرزقهما طفلا عله يكون المنقذ .ويغير حزن زوجها الذي لم تكن تعلم سببا له .وبالفعل يد الله الكريمة لم تتخلى عنها ,اتى الطفل المنشود .كان اول لقاء بينهما وهو في حاضنة للأطفال في غرفة المستشفى الذي ولدته فيه بعد ان تمت عملية الولادة وحملت الممرضات الطفل دون ان تراه سارة ليدخلنه الى غرفة اسعاف الاطفال لانه كان متعبا.وكيف لم يكن متعبا!! الم تكن سارة تحتضر طوال سنوات زواجها.

قالو لها تستطيعين الان الذهاب الى غرفة الاطفال لرؤية ابنك فهو بحالة جيدة.

سحبت نفسها والدنيا تدور بها من تعب الولادة وارهاقها .نظرت اليه .كان طفلا كالقمر بعينين سوداوين واسعتين .لم يكن نائما او مغلق العينين كبقية الأطفال بل على العكس كان ينظر اليها تلك النظرة الرائعة التي تملؤها الدهشة من دخول عالم جديد لايعرف عنه شيئا .التصقت تلك النظرة

في مخيلتها الى الابد.

حلق احمد عاليا من السعادة بولادة طفل لم يضنه يوما سيولد .احبه كثيرا ,وخصص اغلب وقته الذي يقضيه في البيت له متناسيا ان هناك شخص في البيت اسمه سارة وهي زوجته(.!!)

لم تحدث المعجزة التي انتظرتها .فولادة طفل لم يزد احمد الا بعدا عنها واهمالا لها.

عاشا هكذا سنوات اخرى .سنوات تحول سارة دون ارادة منها الى امرأة متوترة مكتئبة.تعيش على هامش الحياة.انتهى كل شيء .كادت النار المشتعلة لحب الحياة داخلها ان تخبو.بدأت افكار الانتحار تراودها .فهي لم تعد تلك المرأة المرحة الطفولية .اصبحت الان شيئا ما. يشبه الانسان !!

اخذت ابنها الذي اصبح في العاشرة من عمره وتركت المنزل دون وعي منها.

رجعت الى مدينتها ,تاركة ورائها عمرا قضته بالتفاني وبيت بنياه معا وزوج لم يفهم ما الذي فقده.

لقد فقد قبيلة من النساء ,لم تكن امرأة واحدة.

كم مرة ممكن ان تتكرر تلك المرأة في حياة الرجل

لكن ...وهل بالفعل ان كل رجل يعرف قيمة الجواهر

هل كل رجل يفهم لغة الأزهار

.....

فنجان قهوتي بالسكر..

الم تكن تعلم اني ...فيروزية الصباح

وان قهوتي ..قهوة حلوة..

ليتك كنت تعلم...

لما تركتني ارتشف كل تلك الفناجين

المرة..

ولحضرت لي خلطة سحرية..

لأصنع قهوتي..

فتضع لي ملعقة من الحب..

مع ملعقتان من الاهتمام..

وبضع قطرات من الفرح..

ثم تعطيني قطعة من السكر..

قطعة صنعت من حرارة اشواقك..

يأيها القريب البعيد..

سأرتشف القهوة السوداء..بعدك

وأدخن لفائف الروح..

لأستنشق في دخانها ..عطرك

اني احن اليك..

فهل يتذكر عطري ..صدرك .

)لاتعلم كم يمتلك انسان وحيد من قوة(

دستويفسكي

فرشاة وألوان(4)..

لم يستطع احمد تصديق ماحدث.كيف يمكن لسارة ان تتركه ,بل كيف تقوى على ادارة شؤون حياتها وتعيش وحيدة مع ابنها دون سند او معين.

من اين اتت بكل تلك القوة.ثم هو لم يتخيل يوما ان يعود الى المنزل وهي غير موجودة بانتظاره,فقد تعود وجودها واهمله ,كما تعود على اي قطعة اثاث مركونة في غرفة المعيشة لديهم ,لاأحد ينتبه لوجودها الى عندما ترفع من مكانها.

جن جنونه ,تمسك بها ,قطع الوعود والعهود,قال لها سأفعل كل ماتريدين فقط ابقي معي ياسارة.فأنا لم اكن اعلم اني احبك كل هذا الحب !! نعم لم اكن اعلم.أعترف اني اهملتك,اعترف بأني لم أقدر الكنز الذي بين يدي .لكن امنحيني

سأذهب ..لقد اختنق بيننا ماسميته حبا.او ما أكتشفت لتوك وبعد كل تلك السنوات من تضحياتي وعذاباتي انه حبا!!

اختارت سارة الوحدة .ارادت ان تستعيد نفسها.فلايمكن ان تكون تلك هي نهاية الحورية الترابية .لابد ان في داخلها مايساعدها على النهوض من جديد.

كانت تهوى الرسم منذ طفولتها .ترسم خربشات هنا وهناك .كلما احست بحزن او فرح تمسك بالقلم او الفرشاة وتبدأ بالرسم.

كانت لها لوحات تعرض في معارض المدرسة وتفوز بالجوائز.

واول لوحة رسمتها بعد ان تركت بيتها وعاشت وحدتها كانت صورة لطفلة تسير في طريق طويل لانهاية له ,تسير وحيدة تتبع ضوء القمر البعيد.

كان لقرار سارة بالابتعاد والانفصال عن احمد رد فعل عنيف على نفسه وكبرياءه .فقابلها بفعل غير متوقع من رجل مثله . فقد قرر ان يتزوج!!

وبالفعل تزوج من امرأة لايكن لها اي نوع من مشاعر الحب .فقط كان هدفه الانتقام .ينتقم من الملاك الذي حرسه وسهر على راحته سنوات طويلة وعندما ارهق ذلك الملاك عدم التقدير ترك كل شيئ ورحل .وبدل ان يحزن احمد على فراق ملاكه الحارس قرران ينتقم منه ويأتي بمن يحل محله.

دخلت الزوجة الجديدة بيت سارة واحمد نفسه .اهداها احمد

المصوغات الذهبية والقبلات وكان يناديها حبيبتي.لم فعل ذلك !! لم لم يفعله مع سارة. !!.....تلك التي افنت حياتها معه ولم تسمعه يوما يناديها حبيبتي او يبتسم في وجهها .!!

قد يكون الانتقام ,وقد تكون الأنانية .

تمتعت الزوجة الجديدة بكل ماحرمت منه سارة .لكنها لم تعطه مأعطته له قبيلة ألنساء تلك .لأن ماكان مهما عندها هو أن تأخذ لا أن تعطي .

لكن لاأحد كان يعلم مايشعر به احمد الا هو نفسه.لقد كان يتظاهر بالسعادة,بالاستقرار,كان يقول لكل من يقابله انه الان بحال افضل وسعيد بهذا الزواج اكثر من زواجه السابق.

لقد كان يكذب.فكم من ليال قضاها يتقلب في فراشه وهو يتمنى ان يشم عطرها ,ان يسمع صوتها الحنون ,ان يتخيل ان شيء لم يحدث ولازالت سارة هنا تملا ارجاء المنزل بعطرها وانوثتها.

صارت الان سارة رسامه محترفة .واقامت اول معرض لها ووقفت تحتفل بافتتاحه مع مجموعة طيبة من الصديقات في مدينتها التي عادت اليها.

ازهرت روحها من جديد ,وتفتحت البراعم الخضراء .توردت خداها ورجعت اللمعة الى عينيها الساحرتين.كانت تقضي وقتها بين العمل والرسم وتربية ابنها الحبيب .تبتسم رغم حزنها وتبدع بالرسم رغم وحدتها .

فبعد ان اختنق الحب ,وترك الاعتراف بالخطا والتسامح مكانه في علاقتهما وابتعد عنهما ,اصبحت حياتهما الزوجية كقبور الموتى .صمت وحزن وسكون .لذا كان لابد من الحفاظ على ماتبقى ,وماتبقى كان الشيئ الوحيد الذي لم ينتهي بينهما,انها الصداقة.

ظلا هكذا صديقين ,يحمل احمد في داخله حبا كبيرا لها وشوقا لحياة اخرى يعيشها بقربها وندما على ماأقترفه بحقها عندما قتلها مرتين.

قتل ملاكه الحارس عندما كانت انانيته هي قانون يحكم حياته الزوجية معها ,وقتلها مرة اخرى بزواجه الثاني والاهتمام والدلال الذي احاط به تلك الزوجة انتقاما من زوجة صباه وام ابنه وحبه الكبير.

وظلت سارة ترسم الاشواق وألآلام في لوحاتها وتتنفس عطر زوجها في الذكريات.

لكنها تعلمت اشياء كثيرة ..تعلمت ان هناك نوع من الناس يفسرون العطاء على انه سذاجة ,والصبر بأنه ضعف واستكانة.

لذا كانت مخطئة هي ايضا في تعاملها مع احمد لأنه كان من ذلك النوع من الناس.وهؤلاء لابد ان نتعامل معهم على مبدأ)ان الحقوق تأخذ..ولاتطلب(.

لأنهم سيعتبرون طلب الحقوق ضعفا وليس ادبا.فهمت هي ذلك بعد فوات الآوان ,وفهم هو مافقد وما الذي فقد...لكن ايضا بعد فوات الاوآن.

.....

.....

وأني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون...

أيخون أنسان بلاده !!!

أن خان معنى أن يكون...

فكيف يمكن أن يكون....

)بدر شاكر السياب(

كيف تصنع خائنا....للوطن (15).

عندما كانت تداعب خصلات شعره الناعمة بيديها المعروقتين بعد ان رسم الزمن تضاريسه على وجهها وجسدها ثم تغرقه بالقبلات فتقول له وهي تخرج من الجيب الكبيرالمفصل بأتقان في جلبابها الاسود قطعة من الحلوى ,خذ هذه لك ياقرة عيني وحفيدي الحبيب واذهب لتسترق السمع لحديث امك واباك ومايقولونه عني ,وان اتيتني بالاخبار كل يوم .سأعطيك قطعتان من الحلوى مقابل كل خبر تأتيني به .هيا ياحبيبي

اذهب وتلصص واستمع واحرص على ان لايراك احد منهما.

دعت احد الجارات الجدة لتناول الشاي والكعك معها في عصر يوم الخميس ليتسامرن ويفضفضن عن مكنونات قلوبهن كما تفعل كل النساء .فقررت الجدة اصطحاب حفيدها المحبوب معها .لذا اخذته امه ليغتسل واثناء معركة الحمام تلك من فرك الشعر ودعك الجلد بالصابون كانت تلهيه الام بالغناء والاحاديث وتعده ان تحضرله كرة جديدة اذا اصغى السمع جيدا لكل ماستقوله الجدة وجارتها وينقله لها بالحرف الواحد معللة طلبها هذا بان تلك الجارة تكرهها وبالتاكيد الجدة ام زوجها لن تقصر في ذمها والانتقاص منها.

والاب الحنون غالبا ماكان يرسله ليختلس النظر ويسترق السمع على والدته وهي تتكلم عبر الهاتف مع امها او اخواتها ويوصيه بان يخبره بكل مايسمع من كلام تقوله امه او تشكو به من زوجها واهل زوجها ,فيربت على كتفه بعد ان يكمل الطفل تلك المهمة باتقان وينعته بالبطل.

كبر الطفل واصبح تلميذا نماما ومتلصصا ,ولم يقصر احد معلميه في المدرسة وهو يختار من كل شعبة تلميذ ليكون عضوا في لجنة النظافة .حيث يكون ذلك العضو مكلف بكتابة اسم الطالب الذي يرمي الاوساخ داخل الصف ويطويها بقائمة سرية ثم يعطيها لذلك المعلم الذي يثني عليه ويشكره لتفانيه

في خدمة المدرسة.

في احد الايام قام الطلاب في صفه ببعض المشاغبات وكتب احدهم كلمات بذيئة على ورقة صغيرة ورسم بجانبها صورة رجل)مدير المدرسة(وظل يتناقلها الطلاب من مقعد الى اخر فتصيبهم نوبة ضحك هستيري على مديرهم وصورته المرسومة ,الى ان وقعت في يد المعلم الواقف امام السبورة والذي كان منشغلا ببعض امور الدرس وتوضيحها لطلابه حين اثاره صوت الضحك فانتبه على مايحدث خلف ظهره.

عندها لم يتوانى المعلم من ايصال تلك الورقة الى مدير المدرسة ليتولى مهمة تأديب هؤلاء الطلبة عديمي التربية على حد قوله.

فاستعمل المدير الاسلوب الامني والمساومات الرخيصة لمعرفة الطالب المجهول الذي كتب الورقة تلك ونعت مديره بالكلمات البذيئة .فارسل على تلميذنا هذا والذي كان عضوا في لجنة

النظافة في المدرسة وقد تعود على كتابة القوائم السرية وكلفه ان يخبره باسم الطالب المجهول ,فأذا اخبره سيكافأه بدرجات اضافية تمنح له كهدية لاجتهاده في مهمة التلصص والتجسس .

تعود الطفل على الوشاية بالقريب والبعيد ,بالاب والام والاخت والجدة والصديق .صار التجسس شرف وصفة يمدح صاحبها ويكافأ عليها.

فقد الانتماء لكل من حوله ,وصار ينتمي لنفسه وأنانيته فقط.وعندما اصبح طالب جامعي كان لايتوانى عن كتابة التقارير السرية التي تشي بأصدقائه او اي طالب معه في الجامعة وتسليمها الى الجهات المختصة بجمع الاخبار عن الطلبة ونشاطاتهم وانتماءاتهم واتجاهاتهم السياسة والدينية.

لم يكن يعلم معنى واضح للوفاء ,او الامانة, او الانتماء الى اسرة او اصدقاء او حتى وطن.

هو ينتمي لنفسه فقط, ويعتبر الوشاية بالاخرين بطولة ,كما تم تلقينه وتدريبه على ذلك مذ كان طفلا .

لذا عندما وقع عليه الاختيار على ان يكون) جاسوسا (ينقل اخبار ونشاطات ابناء بلده لجهات اخرى ,مقابل ضمان مالي كبير ومكافأة اكبر بكثير من قطع حلوى جدته او الدرجات المضافة على شهادته المدرسية من قبل المدير ليشكره على حسن وشايته باصدقاء وتلاميذ المدرسة .لم يجد في ذلك اي حرج او خجلا او خيانة. انه مجرد عمل طالما قام به مذ عرف ان ينطق الحروف وهو طفل صغير.

وكما قال الكاتب والصحفي المصري)جلال عامر(قد نختلف مع النظام لكننا لانختلف مع الوطن,ونصيحة اخ)لاتقف مع ميليشيا(ضد وطنك ,حتى لو كان الوطن مجرد مكان ننام على رصيفه ليلا.

فأختلافنا مع الوطن لايعني ان نخونه او ان نشي بمن فيه فيقتل بعضنا بعضا .فمن يتربى منذ الصغر على الامانة وحب الجماعة وستر القبيح والنصح في السر وعدم هتك اسرار الغير وحب الخير للاخرين كما يحبه لنفسه .لن يستطيع ان يخون مطلقا .مهما عانى من ضياع الحقوق في بلاده وظلم الحكومات وقتل الاحلام وألامنيات .فأقصى مايمكن ان يفعله الناس الشرفاء عندما يكون الوطن مكان خانقا بعد ان امتلكته حفنة من اللصوص فسرقوا البلاد والعباد هو ان يهاجروا خارج بلدهم بحثا عن مكان او بقعة يستطيعوا ان يعيشوا فيها بكرامة وينالوا ابسط الحقوق التي تمت مصادرتها في اوطانهم الحبيبة.

واذكر هنا قولا للكاتب والفيلسوف المصري) يوسف زيدان (وهو يصف ابناء البلد المهاجرين بعد ان ضاقت بهم اراضيهم واصابتهم الخيبة فأضطروا للهجرة مرغمين,قال: أن الملايين ممن ينووون الهجرة يكونون قد هاجروا نفسيا لحظة تقديم الطلب وهجروا الوطن على المستوى الشعوري ,ويظل حالهم على هذا حتى لو ظلوا سنوات ينتظرون الاشارة بالرحيل فتكون النتيجة الفعلية اننا نعيش في بلد فيه الملايين من المهاجرين بالنية او الذين رحلوا من هنا بارواحهم ولاتزال ابدانهم تتحرك وسط الجموع كأنها ابدان الموتى الذين فقدوا ارواحهم ولم يتبق لديهم الأ الحلم الباهت بالرحيل النهائي.

لكن في رايي ان هؤلاء هم محبطون لأكثر ومثقلون بالخيبات مما آل اليه مصير الوطن فآثروا الهجرة على البقاء في بلد مزقته ايدي اللصوص وتجار الشعارات .لكنهم يحملون الوطن في قلوبهم اينما ذهبوا .وهذا عينه ماجاء في قول الشاعرة والكاتبة البريطانية الجنسية والصومالية الاصل وارسان شاير)بانك تترك وطنك فقط حين لايترك لك وطنك مجالا للبقاء (.

اوحين قال شاعر الحب نزار قباني)أحاول سيدتي ان احبك خارج كل الطقوس وخارج كل النصوص وخارج كل الشرائع والانظمة .احاول سيدتي ان احبك في اي منفى ذهبت اليه لأشعر حين اضمك يوما لصدري بأنني اضم تراب الوطن (.

وأخيرا لابد من ان نعيد بعض ماقاله الشاعر العراقي الكبير)بدر شاكر السياب(...عند القائه قصيدته الرائعة)غريب على الخليج(.....

اني لأعجب كيف يمكن ان يخون الخائنون..

أيخون انسان بلاده ...

ان خان معنى ان يكون...فكيف يمكن ان يكون

ألشمس اجمل في بلادي من سواها

والظلام ...حتى الظلام ..هناك اجمل

فهو يحتضن العراق..

واحسرتاه ,متى انام

فأحس ان على الوسادة..

من ليلك الصيفي طلا فيه عطرك ياعراق

بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبة..

غنيت تربتك الحبيبة..

وحملتها فانا المسيح يجر في المنفى صليبه..

.....

.....

..

)رسالة أبعثها لكم وأنا في رحلة النسيان(

في رواية)على نهر بييدرا هناك جلست فبكيت (للروائي الرائع باولو كويلو .تقول الاسطورة)أن كل مايقع في نهر بييدرا من اوراق شجر وحشرات وأرياش طيور,يستحيل حصى في مجراه,ليت شعري كم اود ان انتزع قلبي من صدري وأرمي به في مياهه ألجارية ...فلايبقى اذ ذاك ألم أو ندم أو ذكريات(.

كم مرة عشت حالة من الفرح بسبب الوهم..كم مرة عشقت حد الثمالة ولم تقرا نهاية قصتك من خلال تناقضات بدايتها المؤدية بشكل قطعي الى خيبة اكيدة .ثم رحت تقنع نفسك بالوهم .بانه عشق لازوال له. كم غشتنا تلك الكلمات ناعمة الملمس,وكم افجعتنا النهايات.

هناك لحظات سحرية في حياتنا ,تكون فيها ال)نعم(وال)لا(من شأنها أن تغير حياتنا كلها.

الا يجدر بنا اذن ان نقرا ونستقرأ نهاية الطريق من عثرات بدايته .ام للوهم لذة تجعلنا نركن اليه ونستمتع به.!!!

كم مرة صدقت وعود قطعت امامك ولم تنتبه الى لغة العيون التي تنطق بالكذب!!.كم مرة حرقت فتاة ربيع عمرها وهي تنتظر تحقيق وعود بسعادة ابدية من حبيب ضنته صادقا لانها

تلذذت بحلاوة الوهم واغمضت عينيها عن الحقيقة .

فنحن لاندرك حقا معجزة الحياة الا أذا اتحنا لغير المتوقع أن يحصل,لذا ينبغي لنا أن نجازف.

لماذا تأخذنا بحار الاوهام العميقة التي لاجرف لها دون مقاومة منا لنغرق في هذياننا .....الم يكن الاجدر بنا ان نستقرأ جغرافية ومواقع البحار قبل ان نلقي بأنفسنا للسباحة ....ثم نكتشف في لحظة الغرق الاخيرة انها لم تكن الا بحار لاقرار لها ولاسواحل.

الوفي لايهجر ولايغدر.والعاشق الحق لن تغرق في بحور اوهام اصطنعها لك بفنية وتقنية عالية

الحب هو من يجعلنا نشيخ قبل ألاوآن,وهومن يعيدنا الى صبانا حين يكون الشباب قد ولى.

لماذا نحرق ساعاتنا وايامنا بانتظار وهم استحالة ان يتحقق.

لماذا ننتظر ان تثمر اشجار الصفصاف .

بل لماذا نسقي ازهار اصطناعية وننتظر منها ان تنمو وتملا المكان بعطرها وعبيرها.

بل لماذا نحلم بليال مقمرة رائعة ...ونحن نحترق بشمس الظهيرة اليوم ...وحتى غدا..

كيف لليال تموز الحارقة ان تأتيك بنسيم بارد.

الم تكن لتموز هوية صيفية بأمتياز!! ,الم يلفحك لهيبه نهارا ومساء ...

كيف تنتظر سماء سبتمبر وقمره الصافي ان يظهر في ليال الصيف اللاهبة.اليس هذا وهما وهذيان ....

إلا يجدر بنا ان نستقرأ لغة الجسد ولغة الايام لنفهم أولائك الذين يوهمونا ويعدوننا بسعادة كاذبة....

لابد لنا من ان نصحو ,,حتى لو كانت الصحوة قاسية فهي ليست اقسى من ان تحرق سنواتنا باوهام كاذبة.

حتى لو كنا سنستيقظ من اوهامنا اللذيذة على ليال مظلمة دون قمر.

فلابد لليقظة من ثمن ...

لكنها ان كانت يقظة مبكرة ...فأن ثمنها لاشك سيكون زهيدا..

فهو لن يتجاوز كومة من اعقاب السجائر المحترقة ...وبعض الدموع والشهقات .

وبعض الاشياء التي تأخذها معك وانت تبدأ رحلة النسيان.

ستأخذ معك في حقيبة سفر النسيان.سكائر كثيرة,,,لتشعلها من نيران روحك المتقدة...

وبعض من لفائف الحشائش المخدرة ...لتساعدك على تسكين الم الفراق...

تلك اللفائف المخدرة هي لفائف من موسيقاك المفضلة ..وبعض اشرطة لأغنيات تخرج ما أختزنته من الدموع والاهآت..

لفائف من كتب تتسلى بها...وورق واقلام تخربش بها وتكتب

احتضار روحك..

يقولون أن من شأن المياه ان تخمد مادونته النيران,فأكتب أوجاعك وأرمها في المياه ألجارية...

بالتأكيد ستحتاج الى فراش جديد ووثير..

لانك ...ستنام كثيرا...

...خلال رحلة النسيان تلك..

ستتملق للنوم ...وستغريه بالحبوب المنومة ان لم يأتي طواعية..

ستنسى طعم الابتسامة ...وحلاوة الفرح..

لاشك ان الرحلة طويلة...

ستحرق خلالها اشياء كثيرة...لتتدفأ..

ستتعرى من كل شيئ....من ذاكرتك ...من ماضيك وحاضرك..

لكن في النهاية لاشك انك ستصل...

ستصل الى تلك القمة البعيدة....على جبل النسيان...

جبل صخوره من فتات موائد الحب والقبلات ...

من ضحكات الماضين ...او المهاجرين ...او الخائنين...

اياك ان تضعف او تنزلق من القمة ...

اضرب اول وتد لخيمتك هناك...

وأسكن فيها...في خيمة النسيان ...على قمة جبل النسيان..

و اياك أياك..... وانت في زخم المسير ان تقترب من اشياءهم..

فهناك ممنوعات ومحظورات على من يسير في تلك الرحلة..

فمن يسير الى جبل النسيان ,لابد ان يتسلح بألياس منهم..

من خيالاتهم ...من ذكراهم...لاتقترب منهاابدا..

من اصواتهم العالقة في الذاكرة...من عطر احضانهم الملتصق في حنايا قلبك...وطيات ثيابك..

لاتقترب وانت في رحلتك...نحو النسيان.

من اي أسم يشبه اسماءهم ...من اي عطر يستحضر حلاوة احتضانهم...ورعشة تقبيل شفاههم...

لانك ستنزلق في وحل حلاوة الوهم ...

فللوهم حلاوة العسل ...ولسعة الدبابير..

ستشرب وانت في رحلتك ...فناجين من القهوة المرة..

كم هي صعبة اول رشفة من قهوة مرة!!!...

لاتخف ...ستدمن المرارة..

ففي خيمتك التي ستسكن فيها هناك...على قمة جبل النسيان..

ستشعر بحلاوة الانتصار..انها اشد حلاوة من عسل نحل الاوهام..

ستجد انك نجوت ...بينما هناك لايزال من يحاول الصعود ..ثم ينزلق مرة تلو اخرى..

ينزلق بعسل الاوهام ...

بينما انتصرت انت ...بمرارة فناجين قهوة صحوتك المبكرة..

...أرتشف مر أليقظة ...والنسيان..

...وأبدأ.....رحلتك..

..حرائق روحي لاتنطفئ (16)

حوار بين من كانا حبيبين ...

هي:هل تعلم مما تغار امرأة .

هو: نعم اعلم..من اي امرأة اخرى.

هي:نزواتك العابرة تلك لن تؤرقها...هي تجرح روحها فقط ,لكنها تبقى تنبض بالحب .

عيناك التي تلتهم جمال امرأة اخرى ...تفترسها ...عيناك التي تتبع انحناءات جسد انثى اخرى بنهم وشبق,نظراتك الشهوانية تلك ...لاتثير الحرائق..

كل ذلك لن يثير الحرائق.ياصديقي.

هو: صديقي !!!...اذن ..ما الذي يثير الحرائق....حرائقك انت

هي: نعم صديقي...فبعد ان افترقنا....صرت اناديك بصديقي..

رغم اني لاأحب صداقة الخائنين..

لكن بالله عليك ..ايها الصديق..

ايها الحبيب الخائن...كيف استطعت

الم يكن عطري لايزال عالقا في كل ركن من اركان ذلك المنزل

الم تتعثر بأشيائي المبعثرة هنا وهناك ..

بالله عليك ايها الحبيب الصديق...

عندما احتضنتها اول ليلة ..هل شممت في صدرها عطري!!!

هل سمعت في همسات غزلها صوتي.

في ليلتك تلك ...كانت جدران غرفتي تبكي..

وساعة الحائط تسجل وقت الخيانة..

كان جزء مني في كل مكان ...في السرير..

في الحائط....في الاركان..

الكل كان متواطئ معي ...الاثاث والابواب والجدران.

في ليلتك تلك...اخبروني بالحكاية..

كيف احتضنت في سريري امرأة غريبة..

اسميتها ...زوجتك

اخبروني كيف تلطخت شفتاك بقبلات تلك الغريبة..

كيف حملتها بين ذراعيك..

كيف ناديتها بال)حبيبة(..

لكن بالله عليك...

ايها الصديق..

اجبني ...كيف كان طعم الخيانة

وقبل أن تجيب قل لي أولا..

هل احببتها

هو: لااستطيع الاجابة...انت من هجرتني ...فلاتلوميني..

قد اكون احببتها ...او لااكون ...

وجدران غرفتك تلك تشهد ايضا على وحدتي..

على دموعي...على ألمي..

نعم ...احببتها..

هي:: ماذا قلت ...نعم....احببتها

احببتها اذن!!!...

يكفي ...فهذا يا.....

هذا مايثير الحرائق.

(17) في طابور المطلقات...

في الصباح الباكر اصطف طابور طويل من اول الشارع الى ذلك الباب المقفل ,باب غرفة الاستعلامات..أتين مبكرات واصطففن بكل هدوء في الطابور,نساء في العشرين والثلاثين والاربعين بل وحتى في الستين, الموظف المسؤول لم يكن قد وصل بعد,الساعة الان الثامنة ألا خمسة دقائق.

بعد قليل فتح الباب فقد وصل الرجل ,انه يعمل هنا منذ خمس وعشرون سنة .صاح بصوت عال تتخلله بعض نوبات من السعال تنبأ عن تاريخ طويل للتدخين .هيا يابناتي ادخلن واحدة تلو الاخرى ولتمسك كل واحدة منكن بطاقتها الشخصية في يدها , سأنادي عليكن حالا.

كان ذلك الطابور يصطف هكذا كل يوم ,لتصرف لتلك النسوة مستحقاتهن المالية .لكن كل يوم بوجوه جديدة وقصص

متكررة .يأتين يوم واحد في الشهر الى هنا لأستلام ماتبقى من المهر المؤجل أو النفقة الشهرية لهن ولأولادهن.

لو تأملت الوجوه في ذلك الطابور لاستطعت ان ترى كل حزن النساء ,وكبرياء النساء,وعناد النساء.

وستصاب بالدهشة ايضا .لأنك سترى الكثير الكثير من الحسناوات .يقفن في ذاك الطابوراللعين.فواحدة كوجه القمروليل شعرها الاسود يحيط وجهها كما يحيط ظلام الليل بالبدر,واخرى سمراء رائعة العينين,وتلك الشاردة الذهن هناك بقوامها الممشوق كأنها حورية بحر هاربة .

بعد ان استلمت كل واحدة منهن ملفها الشخصي .جلست لتنتظر دورها .لتاخذ بعد ساعات من الانتظار الطويل بعض الدنانير لها ولاطفالها .كن يقضين تلك الساعات من الانتظار بالثرثرة مع بعضهن البعض.فتسرد الواحدة للاخرى قصة حياتها وحبها وألمها..

قرب النافذة وقفت اثنتان كانت الاولى تحكي قصتها للمرأة التي وقفت امامها,قالت بعد ان رفعت خصلة فاحمة السواد من شعرها الطويل. ان سبب طلاقي هو)خيانة زوجية(لقد كان خائنا,يأتي بالنساء الى بيتنا ويضعهن في فراشي بكل قذارة وكأن بيتنا هو بيت للدعارة .

لم استطع الاحتمال عندما اكتشفت مايحصل في غيابي وفي فراش نومي .طلبت الطلاق وها أنا أسكن مع والدتي منذ خمس سنوات

.تفحصتها من كانت تصغي اليها بعين الدهشة ,نظرت الى بشرتها البيضاء الناصعة وساقيها الطويلتين الرائعتين .قالت لها : يا أله ومن يخون امرأة بجمالك انت !!..

لم تجبها فقد اغرورقت عيناها بالدموع كالعادة كلما فتحت جراحها التي اورثتها رعب وخوف من زواج جديد وخيانات جديدة.

وهناك في نهاية الرواق الطويل الذي تحيط به غرف العاملين في ذلك المبنى والذين يشهدون كل يوم من الصباح الى الظهيرة المئات من الوجوه الجميلة والحزينة ويسمعون الاف القصص وهي تحكى امامهم ترافقها الدموع والحسرات.كانت تقف مروة ,امرأة في الرابعة والثلاثين من العمر ذات وجه بيضاوي نظر .وعينين خضراوين .كانت ترتدي حجابا للرأس اخضر اللون .ليبرز جمال عينيها .ولم تستطع الملابس الفضفاضة ان تخفي ملامح جسدها الانثوي الممتلئ .لم تكن مروة في ذلك اليوم وحيدة بل رافقتها فتاة في الرابعة عشرة من عمرها لها نفس العينين الخضراوين الجميلتين .سألتها احداهن بعد ان لاحظت الشبه الكبير بين مروة وتلك الفتاة.هل هي اختك ياعزيزتي ..

اطرقت مروة برأسها ثم اجابت بعد لحظات .بل انها ابنتي!!..فقد تزوجت وانا في مثل عمرها وانجبت ابني احمد وبعده بعامين انجبتها ,انها ابنتي مها ,هي صديقتي وسلوتي في الحياة.

قد هجرنا زوجي مذ ان كانت مها في عامها الثاني وهاجر الى امريكا .انقطعت اخباره لمدة سنوات ثم علمت انه تزوج من امرأة اجنبية ويسكن معها .قمت بتكليف محام وحصلت على الطلاق وعلى نفقة شهرية لأبني وأبنتي واعمل في احد المكاتب على جهاز الحاسوب لأستطيع ان ادفع اجرة البيت الذي نسكن فيه.

هكذا وانت تسير كل صباح في هذا المبنى الكائن وسط العاصمة بغداد والذي تتوافد عليه كل يوم اعداد متزايدة من النساء المطلقات قديما او حديثا فانك تستمع الى مئات القصص والحكايا .

اسر تنهار واطفال تفقد دفأ احضان الاب وتشهد دموع وحسرات الامهات.قد تقف مذهولا لتسال نفسك .هل كل الرجال مخطؤون !!

هل كل اولاءك النسوة قد ظلمهن رجالهن ...ام هن من ظلمن انفسهن!!!..

وهل الحياة هي من يرمي النرد فتكون انت المختار بمحض المصادفة.وبعد ذلك لايكون الربح او الخسارة ألا مسألة حظ!!...

يقال ان امرأة كانت تستمع الى محاضرة عن قانون الجاذبية

وكيف استطاع نيوتن ان يكتشفه ويطبقه فانبهرت بأهمية الموضوع وعندما انتهت المحاضرة اقتربت من ذلك الاستاذ المعجب بقانون نيوتن للجاذبية ومن اكتشافاته وسألته قائلة,ياسيدي لوتعلم كم استغرقت في التفكير بمشكلتي مع زوجي ومالذي سبب في انهيار حياتنا الزوجية وكم تمنيت لو استطاع قانون الجذب هذا ان يحل مشكلتي !!!

سالها الاستاذ :هل كنت تفكرين في سبب مشاكلكم قبل الطلاق ام بعد الطلاق

اجابت :كلا ياسيدي في الحقيقة كنت افكر في ماآل اليه حالنا انا وزوجي لكن بعد الطلاق .

قال : لو فكرتي بحياتكما وكيف تحلون المشاكل فيها قبل الطلاق .لعرفتي معنى قانون الجاذبية.....

خلال مسيرة الحياة الزوجية كل مايفعله الزوجان هو تبادل الاتهامات واللعنات ,لاحد منهما يعترف بخطأه,لايحاولان الاقتراب من بعضهما بالتسامح والتغافل .بل يحرص كلا الطرفين على جمع جبل من الاخطاء التي يقترفها الاخر فينهار بعد مدة على راسيهما وينهي زواجهما.

لايفكران حتى بالاستمتاع بهدنة ...فحتى الدول المتناحرة فيما بينها تأخذ استراحة من الحرب القائمة تسمى بالهدنة.لتستعيد فيها عافيتها وتعيد ترتيب الخطط وتفكر بحلول ومخارج اخرى.وقد تتوصل تلك الدول في نهاية الهدنة الى حل سلمي فيتصالح الطرفان ويتنهي النزاع.

الزوج والزوجة أيضا دولتان قد تتفقان وتختلفان .لكن لابد للعلاقة من انقاذ .الا ان مايحدث في الواقع هو ان تلك الهدنة تأخذ بطريقة خاطئة اذ يذهب كل واحد منهما ليسكن في بيت والديه بقصد الاستراحة والتفكير فترى انه يخضع لفلسفات الكثير من الاقرباء والاعزاء والمقربين .فكل واحد منهم يسحبه باتجاه ويغدق عليه النصائح لكن حسب مايراه هو وليس حسب مايشعر به ذلك الزوج المسكين او الزوجة الحائرة.

بعض الناس مختلف مع ذاته او مع احد ما او قد يكون مختلفا مع الحياة.لذا فهو يؤدي دورا مسرحيا تكون حبكته بما يناسب حرمانه ,لكن مشكلة هؤلاء الناس انهم غير قادرين على اداء المسرحية بمفردهم ,لذافهم يعمدون الى استدراج أناس آخرين لجعلهم ممثلين في المسرحية ,فلأنهم بائسون ويشعرون بالحرمان والخيبة لذا فهم يريدون ان يثأروا لأنفسهم .فيختارونك لهذا الغرض لتكون مكملا لمسرحية البؤس والشقاء التي هم ابطالها.

لابد للهدنة ان تكون للشخص صاحب المشكلة وحده لينفرد بنفسه في مكان بعيد عن كل المعارك الطاحنة التي تدور في الساحة الزوجية. دون تأثير من احد مهما كان قربه أو درجة

حبه أو خوفه عليه .فلكل انسان في هذه ألحياة منظاره الخاص الذي يرى فيه ألعالم .فأحذر أن ترى بمنظار غيرك .

كل نفس متعبة بحاجة الى استراحة من التفكير والتحليل .الى مدة زمنية قد تطول او تقصر بحسب ألحاجة اليها . زمن خارج الزمن تصفى فيه النفس ويرتاح القلب ألمتعب قليلا .ثم نعاود ألتفكير بعد أن نملأ رئتينا بهواء نقي .نفكر بأخطائنانحن قبل اخطاء الشريك .ونحاول استعادة أنفسنا والتصالح معها .فالتصالح مع النفس هو بداية الطريق للتصالح مع الآخر.فهناك أمورا في الحياة تستحق عناء أن تقاتل من أجلها حتى ألنهاية.

كنت قد استمعت مرة الى قصة عن طبيبة شابة تزوجت من احد الاطباء بعد ان التقت به في احدى المستشفيات حيث عملا معا لفترة من الزمن .كان الرجل رائعا ومتزنا ,لم تلاحظ عليه اي شيئ يثير القلق وبعد زواجها بثلاثة اشهر اكتشفت انه مدمن على المخدرات وتصيبه نوبات من الصداع وفقدان الوعي كانت تضن انها مرض عضوي او ماشابه .

ياللتعاسة!! طبيب ومدمن ..

انفصلت المسكينة عنه بعد ان تأكدت من أدمانه وانه كان مدمنا بالطبع قبل الزواج وكاذبا بامتياز .فلم تستطيع اكتشاف كذبه قبل ان يقع المحظور وتتورط بزواج فاشل.

لكن هل كل تلك الاعداد الهائلة من الزيجات الفاشلة كان من غيرالممكن انقاذها !!!..

وماذا عن من يتزوجن وهن في الرابعة عشر او الخامسة عشر من عمرهن ...هل يفقهن شيئا عن الحياة الزوجية...

كيف لذاك الطابور ان يقصر ....هل يفهم الرجل يوما ان لايوجد في الكون امرأة تريد ان تكون)مطلقة(..لولا جرح عميق لم تستطع احتماله .

عندما تهجرك امرأة ...عندما تطلب الطلاق منك امرأة.....,فاعلم انها تحمل جرح غائر وألم لم تستطع ان تبتلعه.

ان نفس تلك الوجوه الحزينة كانت تقف يوما في طابور آخر ضاحكة مستبشرة كل واحدة منهن تمسك بيد من سيكون زوجها لتبدأ رحلة ضنتها ابدية . بعد لحظات من انتهاء القاضي من نطق الكلمات التي تضفي عليهما سمة زوج وزوجة.

قص لي مرة رجل في الثلاثين من عمره كان قد انفصل حديثا عن زوجته .ولديه طفل صغير لم يتجاوز السنة الثانية من العمر .قال انا من اخذ قرار الطلاق.لقد كان زواجي زواجا تقليديا بحتا لم يكن بدافع الحب عشنا معا ستة اشهر فقط كانت فيها حياتنا الزوجية اشبه بالحرب العالمية .

كانت تغار كثيرا وتشك في كل تصرفاتي لم استطع الصبر على شكوكها وغيرتها لذا طلقتها واقسمت اني لن اتزوج مرة اخرى.فسألته وكيف تقضي حياتك وانت اعزب بعدما كنت متزوجا وشعرت بالاستقرار يوما .

قال لاأخفيك سرا ان الوحدة تمزقني اشعر اني ورقة شجرترمي بها الرياح بكل اتجاه .فأعمد على الانتقام من وحدتي بالزواجات العابرة المتوفرة مثل زواج المسيار أوماشابهه من اسماء .فانها زواجات لمدة قصيرة نحددها انا والعروس بعد ان اعطيها مهرها شرعا ثم ننفصل بعد انتهاء المدة الزمنية المتفق عليها وينتهي كل شيئ.لامسؤوليات ولا طلبات ولاغيرة او شك او معارك.

الحقيقة لم يكن الرجل سعيدا او حتى في وضع نفسي مستقر.احسست انه كان يتمنى لو انه حصل على زواج سعيد وعائلة مطمئنه تحتضن وحدته وتكون له الملاذ والسكن .

ويبقى السؤال معلقا... كيف لذاك الطابور ان يقصر

طابور المطلقات....

هل يسمع أويقرأ سؤالي هذا رجل قرر في صباح اليوم التالي ان يذهب للمحكمة لينهي حياته الزوجية بالطلاق فيتمهل قليلا ويفكر بتأجيل مشوار المحكمة هذا الى مابعد استراحة الهدنة.فربما يتغير كل شيئ.

هل تسمع صوتي هذا امرأة لاتزال تبني جبل الاخطاء لزوجها وتستمع لرأي هذا وذاك فتزداد حيرتها اضعافا وتضيع في متاهة الافكار فتغلق اذنيها عن كل مايدور حولها وتستمع فقط لصوت قلبها وروحها محاولة استذكار لحظات الحب والسعادة بينها وبين زوجها فتأخذ هدنة للتفكير.فتنقذ نفسها وزواجها وينقص الطابور الطويل امرأة جديدة.

هل يسمع هذا السؤال اعلامي او صاحب جريدة او قناة فضائية فيزيد عدد برامج الدعم النفسي وتلك البرامج التي تناقش حلولا لمشاكلنا العائلية.فتكون لها الحصة الاكبر في البرنامج اليومي من البرامج الترفيهية اوبرامج تحليل سيناريوهات الحروب والمعارك.

الشك ,الغيرة,الخيانة,البخل,الانانية.سوء المعاملة.تدخل الاهل والاقارب .والكثير الكثير من الاسباب كلها آفات تنخر حياتنا الزوجية وتنهيها فتترك الرجل ناقما على الزواج منعدم الاستقرار يتنقل بين علاقة عابرة واخرى الى ان ينتهي به الامر وحيدا وهو في الستين او السبعين من عمره.

وتزيد لدينا اعدادا جديدة لتقف كل صباح في طابور المطلقات الطويل .

.....

...الله ناطق بكل اللغات (18)

قد تجد الحب في كل الأديان لكن الحب نفسه لادين له

)جلال الدين الرومي(

حين تختلف مع احدهم او تتعرض للنقد ..تنمو في قلبك نملة من الكراهية ..ان لم تسحقها في الحال ربما تحولت تلك الحشرة الضئيلة مستقبلا الى ثعبان او وحش قبيح.

هذا ماقاله العالم الصوفي الزاهد العاشق لله جلال الدين الرومي في تنزيه النفس من الغل والكراهية أولا بأول كي نبقيها صافية تعكس جمال الكون داخلنا.

وقد تطرق الدكتور علي الوردي في كتابه)خوارق اللاشعور(الى أهمية ألايمان بالعقل الباطن او مايسميه باللاشعور .فيقول :

) يقول النبي "من آمن بحجر كفاه" وقد اصاب كل الاصابة في قوله هذا .ويعجبني من المتصوفة انهم ادركوا هذه الحقيقة .فهم يحبون كل الاديان ولايفرقون بينها ,اذ يعتبرونها طرقا مختلفة للوصول الى هدف واحد.انهم يطلبون من ألانسان ان يكون قوي العقيدة وليعتقد مايشاء.ولقد كان الشيخ محي الدين بن عربي المتصوف المشهور يود ان يصلي لربه في كل معبد ,لافرق عنده بين المسجد والكنيسة او بين بيت النار أو معبد الاوثان .وكأني به يقول نقي قلبك وصل

اينما تريد(.

وبالتاكيد ان الشعائر الدينية التقليدية لها اهميتها فهي تجعلنا شركاء الآخرين في التجربةالجمعية للعبادة والصلاة.لكن غالبا نحن ننسى ان ليس للحب قواعد واقصد هنا الحب والعشق لله تعالى.وان التجربة الروحية هي أولا تجربة حب عملية وان الله ناطق بكل اللغات.

ويذكر الدكتور علي الوردي في نفس الكتاب فقرة لطيفة بخصوص ألشعائر الدينية والعشق الروحي الخالص.فيقول:

)الملاحظ ان رجال الدين عندنا يتصورون ان الله كالملك جالسا على العرش وحوله الملائكة وهويأمر بينهم وينهي.انهم أخذوا هذه الصورة من حياتهم السياسية .فهم ينظرون الى الله كما ينظرون الى حاكمهم السياسي ,اذ يحاولون ان يتملقوا ويتزلفوا اليه او يمدحوه ويبرطلوه .ولهذا السبب نجدهم يهتمون كل الاهتمام بالشعائر والطقوس بدلا من الاهتمام بصفاء القلب وسلامة العمل وخلوص النية (.

وهنا اود ان اذكر بعض الأمثلة على صفاء قلب وكيف يسمو بعشقه الروحي وقلبه الخالي من الكبر والكراهية فيكون بذلك قادرا على اجتراح المعجزات.

يقال ان احد الأنبياء كان مارا في البرية فشاهد رجلا جاثيا على ركبتيه رافعا يديه الى السماء يناجي الله والدموع تنساب من عينيه .فتوقف ذاك النبي ليستمع الى ابتهال الرجل وخشوعه .فتفاجئ مما سمع حيث ان الرجل كان يحاكي الله وكأنه انسان مثله فيقول له الهي انا احبك فدعني اغسل لك

قميصك واغسل لك رجليك ,دعني اكون خادم لك فاقوم بكل ماتحتاج اليه فانا اريد ان اكون بقربك .

بعد ان انهى الرجل صلاته قال له هذا النبي او العارف بالله يأخي انت تخطئ بحق الله .الله ليس بشرا لتغسل قميصه او رجليه لاتكلم الله هكذا .سأعلمك الصلاة بقوانينها وكيف تناجي ربك وتتقرب اليه .قال له الرجل سمعا وطاعة .علمني ,فأن حبي لله يفيض به قلبي.

لقنه بعض الكلمات بكيفية الصلاة والدعاء ومضى الى سبيله .فاوحى له الله تعالى ان لماذا فعلت هذا بعبدي قد كان يعبدني بكلماته النابعة من قلبه فتذوب روحه وتخشع جوارحه اما الان فهو يردد الكلمات التي علمتها اياه فقط.

قال الرجل العارف او النبي اغفر لي ياألهي فقد خشيت ان بكلامه تجرأ على ذاتك ووحدانيتك .

عاد مسرعا واقترب من الرجل وقال له :ارجع لصلاتك الأولى يأخي فانت اقرب الى الله مني .

هذا فقط مثل على ان التقرب لله غير مشروط فهو قريب مجيب لكن هذا لايعني دعوة لرفض العلم وقواعد الدين بل هو دعوة لعدم التكبر والتفاضل بكثرة العبادات او نوعيتها فالله وحده اعلم بعباده ومن هوالاقرب منهم اليه .

يقول الروائي الكبير باولو كويلو في احد كتبهان مبشرا اسبانيا كان في زيارة لأحدى الجزر فالتقى بثلاثة كهان من الأزتيك فسألهم بأي طريقة تصلون قالوا نحن لانجيد الأ صلاة واحدة ,نبتهل فنقول ألهنا ارحمنا.قال المبشر انها صلاة

جميلة سوى انها ليست بالضبط الصلاة التي يستجيب اليها الرب.سوف القنكم صلاة افضل منها .علمهم الراهب صلاة كاثوليكية وتابع رحلته التبشيرية وبعد سنوات طويلة كان عليه خلال رحلة العودة الى اسبانيا على متن السفينة ان يمر بالجزيرة نفسها ومن على سطحها لمح الكهان الثلاثة على الضفة فأومأ اليهم بيده .عندها تقدم الرجال الثلاثة نحوه سائرين على سطح الماء .

ناداه احدهم وهو يقتربمن السفينة.أ بتي أبتي..علمنا مجددا تلك الصلاة التي يستجيب لها الرب ,لأننا لم نفلح في استذكارها. قال المبشر وقد شهد المعجزة بأم عينيه ,أني لاأرى طائلا فيها .واستغفر ربه لأنه لم يدرك من قبل بأن ربه ناطق بكل اللغات.

.....

غرقت بغداد ببحور الدم وغرق معها العراق .تلطخت الأيدي بالدماء ,وتحول لون دجلة الازرق الى الأحمر من دماء الابرياء.

كل الذين عاشوا قديما على المحبة والألفة ,بيوت متراصة مع بعضها البعض تحويأناس من مختلف الأديان والمذاهب ,مسيحيون ويهود وصابئة ومسلمون .مسلمون سنه ومسلمون شيعة .مسلمون سنة من مذاهب مختلفة .كل اولئك

كانوا متعايشين مع بعضهم .يذهبون للتبضع من نفس الاسواق ويتزاورون وياكلون من طعام بعضهم البعض .

وما ان نثر الطامعون في البلد بذور الشقاق والنفاق حتى بدأت تكبر فأصبحت اشجارا قبيحة مثل رؤوس الشياطين تمتد أغصانها البغيضة بين الاحياء والبيوت .فتقطع الصلات وتقسي القلوب .

هل يذبح الانسان جاره !!...هل يقتل بعضنا بعضا من اجل الأدعاء بأن أحدنا أفضل من ألآخر وأكثر منه تقوى وصلاحا !!!...

يقول غاندي)كلما قام شعب الهند بالأتحاد ضد الأستعمار الأنكليزي ,يقوم الأنكليز بذبح بقرة ورميها في الطريق بين الهندوس والمسلمين لكي ينشغلوا بينهم بالصراع ويتركوا الاستعمار.(

وهذا ماحدث لنا بالضبط .تركنا ولائنا للوطن ,للعراق.واصبحنا فصائل متناحرة ترى كل واحدة منها انها الحق والصواب ,وهل يكون الصواب ألا في ألتآخي والتوحد ونشر السلام ..

فأيا كان الدين وأيا كان نوع التقرب لله تعالى فلايكون بالكراهية والقسوة وسفك الدماء ....ولاشك ان ايا كان مايشعرك بالنقاء ..فهو ذاك الطريق الصحيح لتكون تقيا صالحا.

يذكر هانس كنغ قول رائع عن السلام والتعايش بين المذاهب المختلفة فيقول:

(19) بلاسيبو placebo....

أن كل مانعتقد به ونؤمن به بقوة سيؤثر فينا.فقد تكون الحقائق موجودة في حياتنا لكننا لانعتقد بها لذا تصبح عديمة الفائدة وقد يسعدنا اعتقادنا بوهم معين فنصاب بالسعادة .

فأعتقادنا بأن ذاك النوع من الدواء سيشفينا سيؤدي الى شفائنا بالفعل حتى لوكان في الحقيقة دواء عاجز عن العمل .وغالبا مايستعمل الاطباء هذه الطريقة لعلاج المريض الذي يشكو من الوسواس ,فبعد ان يتأكدوا من خلوه مما يشكو من مرض يعتقد كل الاعتقاد بوجوده في جسمه ولاتنفع الطمأنة والمواجهة بالحقيقة مع هكذا مريض لذا يلجؤون الى علاجه بال)بلاسيبو(وهذا يعني ان يصفوا له دواء لايؤثر

سلبا او ايجابا لكنه في نفس الوقت يكون غير مضرا اذاماأستخدم بجرعات موصوفة بطريقة علمية كاستخدام نوع من أنواع الفيتامينات على سبيل المثال,فيعتقد المريض بالوسواس ان ذاك هو علاج مرضه فيكون ذلك ال)بلاسيبو(سببا في شفاءه من مرضه غير الموجود اساسا .

وهذا ماكانت تفعله حنان مع كل حزين تراه في طريقها او تتعرف عليه .كانت حياتها واهتمامها كله ينصب في معالجة الناس من أحزانهم.وكانت فرحتها او لنقل مهمتها تنتهي بعدما ترى الابتسامة قد عادت لتشرق على وجوههم الحزينة من جديد.

ولم يكن احد يعلم سبب تصرفها ذاك .فمن في هذه الدنيا يترك كل مشاغله ويكرس حياته ليتفقد المحزونين والمكتئبين لينقذهم من تعاستهم ويعيد اليهم الفرحة !!!...

كانت لدى حنان جارة عجوز تسكن في الدور الاول من العمارة التي تسكن هي فيها.ومن سنوات طويلة وتلك العجوز تعيش لوحدها فقد هاجر ابنها الوحيد الى دولة اوربية وكانت رسائله القليلة تصل اليها بين حين وآخر .وفي يوم انقطعت تلك الرسائل تماما.ولم تعد الام العجوز الوحيدة تعرف شيئا عن

احوال ابنها وفلذة كبدها,فأصابها اكتئاب شديد وامتنعت عن الطعام ووقعت طريحة الفراش .

كانت حنان تصادفها كل صباح وهي تشتري الخبز من الخباز القريب من العمارة السكنية .فلاحظت ان المرأة لم تعد تأتي كعادتها كل صباح فقررت ان تذهب وتتفقد حالها.

قصت لها العجوز قصة ولدها المهاجر وانقطاع اخباره ,فكانت تخشى ان مكروها ما اصابه او انه قد تنكر لها ونسيها.

طمأنتها حنان بأنها ستقوم بنفسها بالذهاب الى صندوق البريد والبحث عن اي رسالة تكون قد وصلت وايضا ستحاول ان تبعث له برسالة تخبره فيها بقلق والدته عليه.

ابتدأت حنان مهمتها بطمأنة تلك ألأم ألمسكينة.فأصبحت تكتب كل اسبوعين رسالة وتبعث بها الى صندوق البريد على انها رسالة من الابن المهاجر وذلك بعد ان راسلته بالفعل واخبرته عن حالة والدته ولم تتلقى منه اي اهتمام.. فأخذت هي على عاتقها مهمة اسعاد تلك الام العجوز واوهمتها بان ولدها لايزال بارا بها رغم ابتعاده وهجرته.

عادت الفرحة لقلب الام العجوز فقامت من رقدتها بأمل وابتسامة نورت تجاعيد وجهها الحنون.

شخص أخر كانت حنان تزرع الامل في نفسه كل يوم .انه سجين كان يمسك بقضبان النافذة العالية لغرفته في السجن وهويتسلق سلما ليبقى هكذا من الصباح حتى الظهيرة ينظر من النافذة المطلة على الشارع فيسرح في رؤية الحرية المتمثلة امام عينيه في الاشجار والطيور المحلقة والمارة

الذاهبين والعائدين في هذا الشارع .

قررت حنان بعد ان شاهدته ذات يوم وهي مارة من ذلك الشارع ان تعطيه امل ليعيش عليه كل يوم .فصارت تتعمد المرور من امامه كل صباح وتقف للحظات لتلوح بيدها له وهي مبتسمة ابتسامة صباحية رائعة وكأنها تغازل حبيبها المسجون خلفتلك القضبان.

تعود الرجل السجين على مرور حنان كل صباح من امام نافذته فصار ينتظر مرورها بفرح وحب وأمل كل يوم .وبهذا لم تعد ايامه في السجن ثقيلة حزينة فقد صار ينتظر كل يوم ابتسامة حبيبته الرائعة ووقوفها للحظات ملوحة له بيدها باعثة الحياة في شراييينه وروحه من جديد.

انها بائعة السعادة .....لهؤلاء الفاقدين أسباب تجعلهم يتمسكون بالحياة أو هؤلاء المحبطون الذين يشعرون ان الحياة قد لفظتهم كأنهم بقايا طعام ملتصق بين اسنانها.

في يوم كانت تتصفح وتقلب القنوات الفضائية على شاشة التلفاز وهي جالسة على اريكتها في الشقة وحيدة مثل كل يوم .فلفت انتباهها لقاء كان يجري مع احد المحكوم عليهم بالاعدام شنقا حتى الموت على جريمة ارتكبها ثم ندم على فعلته تلك فكان مقدم البرنامج يسأله هل انك عشت طوال حياتك تقدم كل فعل ثم تندم عليه الا تفكر قبل فعلك هذا !!...

كانت اجابته غريبة .فقد اعترف انه كذلك بالفعل ,يتهور ويرتكب الخطأ ثم يشعر بالندم بعد فوات الاوان .لكن كل ماسمعته حنان لم يكن مهما او غريبا فكثير من الناس

يتصفون بتلك الصفات لكن ماكان عجيبا هو أمنية ذلك السجين المحكوم مصيره بالموت المحتم حين سأله الاعلامي عن اخر امنية او طلب له قبل ان يتمتقديمه الى حبل المشنقة .فقال اريدان اتزوج !!...

وبعد الاستفسار منه عن سبب ذلك الطلب الغريب لرجل سيموت حتما كان رده انه يريد ان يترك شيئا جميلا لوالدته ,يريد ان يكون له ابن يسلي والدته بعد موته وبعد خذلانه لها .فقد كان الابن الوحيد لتلك الام المسكينة وستكون فاجعتها باعدامه كبيرة جدا وندمه على فعلته لن ينفع بعد الان .فكل مايتمنى بعد ماحدث هو ان يدخل الفرحة على قلب امه بان يترك لها حفيدا يسليها .

بالطبع ان كل من كان يشاهد البرنامج قد صدم بذلك الطلب المثير للسخرية والاندهاش في الوقت نفسه .فماذا يفعل رجل في طريقه الى الموت بزواج لليلة واحدة وانجاب ابن ليتركه للمجهول ويرحل .ثم من تلك المخبولة التي ستاتي لتحقق تلك الامنية !!..

في صباح اليوم الثاني من بث ذلك اللقاء التلفزيوني كانت حنان قد توجهت الى المكان الذي تتم محاكمة ذلك السجين فيه والذي قام مقدم البرنامج باعطاء كل المعلومات المطلوبة للمكان في حالة ان تقدمت اي امرأة بتحقيق تلك المعجزة للسجين قبل ان يحل موعد اعدامه .

كان الضابط المسؤول عن القضية يكاد ان يغمى عليه من الدهشة وهو يرى حنان تقف امامه بكل ثقة وتوافق على الزواج من السجين المحكوم باعدامه .فمالذي يدعو امرأة

جميلة ولاتزال في ريعان شبابها الموافقة على طلب هذا المخبول والزواج به.

تم الزواج وتمتع السجين بليلة واحدة مع زوجته حنان خارج السجن .ثم عاد الى زنزانته الانفرادية صباحا وتم تنفيذ حكم الاعدام به بعد اربعة ايام .

قبل ان يذهب الزوجان في ليلتهما لتحقيق خلوتهما الشرعية لليلة واحدة فقط .قامت نفس القناة الفضائية ببث لقاءمع الزوجة المتطوعة)حنان(بعد الحاح شديد وفضول كبير لمعرفة السبب وراء اقدامها على عمل كهذا.

قالت قد اقسمت ان افعل كل مايمكنني لأساعد اي انسان يشكو من حزن وعذاب نفسي فلاارید لأحد ان يقاسي .فبعد ان ذقت الالم وانا ارى ولدي الوحيد يموت امام عيني بعد ان افلت من يدي ونحن نعبر الشارع فتاتي سيارة يقودها مستهتر بسرعة جنونية فيدهسه امامي وانا اقف عاجزة عن فعل اي شيئ ,عشت اياما سوداء مظلمة ودخلت مصح تعالجت فيه من اكتئابي .خرجت بعدها وكان هدفي في الحياة هو اسعاد القلوب الحزينة.فمالذي يمنعني من تحقيق امنية يتمناها من هو مقبل على الموت . ..ومالذي سأخسره لو اسعدت قلبه وقلب والدته .لابد انكم ستنعتونني بالمجنونة .لكني ارى ان من الجنون ان نرى بعضنا البعض نتعذب ونتألم ولانفعل شيئا لمداواة جراح بعضنا .فلماذا نقاسي المزيد من الالم ولازالت هناك امامنا حياة لابد ان نعيشها على افضل نحوممكن !!..

بعد مرور سنة على ذلك اللقاء كانت حنان تحتفل بعيد الميلاد الاول لابنتها)لينا(في بيت ام احمد والتي هي ام ذلك

السجين صاحب الامنية العجيبة والذي تم اعدامه بعد ان ساعدته حنان على تحقيق حلمه فتزوجا وبعد تسعة اشهر انجبت له ابنة كانت منبع السعادة لأمه الحزينة وتعويضا لحنان عن ابنها المتوفي.

فبائع الازهار لابد ان يعلق في ثيابه عبيرها.ومن يهدي السعادة للاخرين لابد ان يصيبه قسم منها .ان السعادةهي الشيئ الوحيد الذي يزيد بالمشاركة مع الاخرين ولاينقص.

.....

(20) ...لقد ادمنتك...فكيف اشفى منك

أشتقت أليك فعلمني أن لاأشتاق...

علمني كيف اقص جذور هواك من الاعماق..

علمني كيف يموت الحب وتنتحر الاشواق...

نزار وما اجمل كلماته ..تتغلغل في الروح وتبعثنا على التأمل في كل مفردة يكتبها.

ألادمان يحاصرنا ..انه موجود في كل شيئ .

او قد نوصفه بأنه مشكلة الكثيرين.ولايمكن الشفاء من الادمان بالترك المفاجئ لما ادمنا عليه.

أنه قانون يسري على اي نوع من انواع الادمان ...العلاج تدريجيا.

سترى من يحاول ترك التدخين انه يبدأ بتقليل عدد السجائر التي يدخنها يوميا.ثم يبدأ بعدها بمضغ التبغ الخاص لذلك .فقد يساعده قليلا على التخلي عن احراق السكائر.ثم بعد حين نراه يمسك سيكارا دون ان يشعله .يمسكه فقط بين اصابعه او بين شفتيه .لكي لايشعر بأنه يفتقد شيئا تعود عليه.

وكثيرا مايقول لنا المدخنون انهم يستمتعون بتدخين السيكار فقط عند امساكه بين اصابع اليد اليمنى .ولاطعم للسيكار

نفسه ولامتعة عند امساكه باليد اليسرى.

انه التعود ولاشك...

وهؤلاء المدمنون على المشروبات الغازية ..كثيرا ماينصحهم الاطباء بتركها لكن يضعون لهم في البداية بديلا عنها كالعصائر الطازجة او اللبن .فلايمكن الاكتفاء بالماء لمن اعتاد على لذة السكر والانتعاش الذي يتركه بعد تناوله.

من غير الممكن الابتعاد القسري عن شيئا تعودنا عليه دون ان نضع مكانه بديلا يحل محله في بداية الامر .

فيكف لو ادمنا اشخاصا!!!...

قد اصبحوا جزء منا ..من يومياتنا ..من عاداتنا اليومية...

نحب اصناف من الطعام لانهم احبوها..نستمع لاغنيات كانوا يستمعون اليها ..كل الاماكن ارتبطت بهم لأننا ارتدناها معهم يوما ..

هاتفنا يرن ...فنهرع للرد عليه ضنا منا انهم من يتصل...

وكأن هواتفنا لاترن الا باتصالهم ...ولاينساب منها صوتا غير صوتهم...

كيف لو فقدنا من تعودنا وادمنا وجودهم فينا وحولنا !!!

فقد يأخذهم الموت منا ...او قد يكونوا خائنين فيغادروا دون انذار او تفكير بما سيحدث لنا بعدهم ...

كل ماسنعانيه من ألم ممزق بعد الفراق ماهو الا ألم الادمان ...

اذن كيف سنواجه ذلك الالم ...وكيف نبدأ رحلة الشفاء من

الادمان..

قد يسقط البعض منا في خطء فادح وهو في تلك الحالة المجنونة من الاشتياق لمن فقدهم او لمن تركوه وغادروا ..فيبحث عن حب بديل ..ايا كان ..فيعيش معه حالة من الحب الزائف ..كي يتعالج من ادمانه ..ثم بعد مرور مرحلة العذاب ..وبعد ان يستقر هيجانه وتخمد ثورة المه.سيكتشف عدم احتياجه لتلك الضحية التي ادخلها معه في دوامته .وسيبدا بالانسحاب .وبهذا يكون قد كسر قلبا كي يشفى هو من عذابه.

ليس هذا مايجب ان يحدث ونحن في اختيار طريقة للشفاء من ادماننا على من فقدناهم ..لايجب ان نفقد انسانيتنا فنظلم من هو خارج الدائرة .وليس له ذنب فيما عانينا ه او نعانيه.

كانت احدى النساء تحكي لصديقة لها وهي تنتحب فتقول لها كيف لي ان انسى من هجرني ورحل..كيف استطيع الذهاب لتناول الطعام وكل المطاعم في المدينة لنا فيها ذكرى معا..ثم ماذا عن هاتف الساعة السابعة ...كل يوم كنت انتظر الساعة السابعة مساء فقد كان موعد مهاتفته لي والاطمئنان علي .ماذا افعل وكل ماحولي يحاصرني بوجوده وعطره وخياله.

قالت لها تلك الصديقة... سأهاتفك كل مساء عند الساعة السابعة.

في البداية رفضت اقتراح صديقتها بشدة .لكن بعد ان عقدت معها اتفاقا ان ذلك سيستمر لمدة شهر واحد فقط .وقالت

لهاصديقتها بثقة, سترين ياعزيزتي بعدها انك شفيت من ادمانك وتستطيعين مواجهة مايخيفك ومانتوين الهروب منه .

كانت تهاتفها كل يوم في نفس موعد هاتف الحبيب الغادر.

في الايام الاولى كانت لاتزال تنتحب وتثرثر عن ذكرياتها والامها عبر هاتف الساعة السابعة..وكانت الصديقة تحاول جاهدة اختلاق مواضيع جديدة لتشغلها بها.

مضى شهران وليس شهر واحد .اصبح صوتها اكثر بهجة وصبرا .وفقد هاتف الساعة السابعة التصاقه بالحبيب السابق ..

عالجت ادمانها ببديل عنه..

لايمكن لأحدنا ان ينكر كم هو مؤلم فقد من نحب .وابتعاده عنا .

تقول ألشاعرة الأمريكية)آن سكستون(انه لكابوس ان ترى شخصا يتغير امام عينيك .يتحول الى غريب ولاتتمكن حتى مع حبك الذي تحمله من اعادته مألوفا ثانية.

اذن ماذا نفعل امام هكذا شعور ..هل نبدا رحلة التعافي بالتخبط وارتكاب اخطاء جديدة ..

يقول ألكاتب والصحفي المصري)ياسر ثابت (ان الزواج هو اعلى درجات الامل في بلاد الاطموح .انه الخلاص المثالي لأية امراة مداركها العقلية ضيقة.مصابة بقصر النظر ولاتجيد تأمين مستقبلها.فالزواج في بعض الاحيان هوالسراب الكبير في حياتنا لنتجنب الوحدة.فنضطر الى اختيار اسوأ الاحتمالات .ان نكون مع اي شخص.الفتيات عادة يفعلن ذلك

وتنتهي القصة ببضعة اطفال يصرخون)ماما(لامرأة حزينة.

الحقيقة تعقيبا على هذا القول وانصافا للنساء .قد رأينا رجالا ايظا يرمون انفسهم في علاقات او زواج من اي امرأة كانت للهروب من الوحدة او كبديل لقصة حب فاشلة.

ان من يفعل ذلك هو كمن يدور في حلقة مغلقة فيعيد نفس العثرات السابقة.

كي نشفى من ادماننا لابد من اختلاق بدائل مفيدة .بدائل تأتي من داخلنا ,من شجاعتنا وقوة التحدي التي يجب ان نتحلى بها,لاشك أن هناك عقبات ومشكلات كبيرة سوف تطرحنا ارضا قبل ان نتمكن من لم شتات انفسنا والوقوف على قدمينا مرة اخرى.

يقول)رالفر والدو ايمرسون(أن قوتنا تنمو من ضعفنا.

يذكر ذلك الكتاب الرائع)شوربة دجاج للروح التي لاتعرف الهزيمة(. قصة عن الروح القوية فيشبهها بالأشجار عميقة الجذور .فيحكي قصة طبيب عجوز يهوى زراعة فناء منزله بالأشجار وحلمه ان يحولها الى غابة كثيفة .فكان يزرع اشجاره ولايسقيها كما هي العادة الجارية في زرع ومراعاة الاشجار .وعندما يسأل عن سبب فعله ذاك يجيب أنه لو قام بسقايتها ستكون أشجارا ضعيفة وسطحية الجذور وحين تهب الرياح الباردة فلن تصمد امامها .لذا كانت اشجاره تمد جذورها عميقا في التربة لتحصل على الماء من بواطن الأرض.فقد كان يتبع مبدأ لاثمر بلا ألم .

أن كل مانحتاج اليه هو ان نمد جذورنا بشكل عميق في ارض الله التي خلقها لنا .وحين تهب رياح باردة قوية لتضرب اعماقنا سنكون حينها كالأشجار الكبيرة ذات الجذور العميقة لن ننتفض ولن تسقط اوراقنا في يوم ممطر بعد هبوب الرياح الباردة.

كل منا له موهبة منحها الله له .وقد تكون هي البديل وهي المنقذ في أيام الوحدة القاسية .

كانت قصة ام سليم تلك المرأة الخمسينية تثير فضول الكثير من زوار البازار الذي تمت اقامته في أحد الاماكن الرائعة التي تطل على نهر دجلة في بغداد.والذي يقدم فيه الموهوبون بصنع الاعمال اليدوية بضاعتهم
للبيع.فخاريات ,فضيات,لوحات فنية,اكسسوارات وتحف متنوعة.كانت ام سليم الاكبر سنا بين كل الموجودين من هؤلاء الذين يعرضون بضاعتهم.لكن زبائنها ومحبي مصنوعاتها كانوا هم الاكثر في ذلك البازار.فهي تمتلك يدين سحريتين في صنع الاكسسوارات وقلائد الفضة المطعمة بالحجر.

على الرغم من ان اعمالها كانت تثير الاعجاب لدقة صنعها والذوق الرفيع في تنسيق الالوان مع بعضها الا ان عمر بدأ تلك الحرفة عند ام سليم هو بالفعل ماكان يثير الدهشة والاعجاب بشخصها.

فقد كانت دوما من محبي هذه الصنعة لكنها لم تحترفها فعليا الا بعد نكبتها بوفاة ابنها الوحيد بأنفجار في سوق شعبي كان يعمل فيه في احد اماكن بغداد المزدحمة والتي تضج بالناس وغالبا ماتستهدف لقتل اكبر عدد ممكن من الابرياء واشاعة

الفوضى والرعب في النفوس.

سقطت طريحة الفراش لسنوات تشكو الم وحسرة الغياب .غياب ابنها والفراغ الذي تركه حولها بعد ان اصبحت وحيدة وفريسة للقلق والتفكير والذكريات .

استيقظت يوما من نومها صباحا وهي عازمة على الانخراط مع الناس باي عمل تتقنه ..وان لاتكون بعد اليوم امرأة حزينة تثير شفقة الجارات وسكان الحي.

أتصلت ام سليم بأحد المنظمات التي تعنى بحقوق النساء وتوفير المساندة والدعم لهن وايجاد عمل لمن تحتاج اليه .اخبرتهم انها تجيد عمل الاكسسوارات فحجزوا لها طاولة في احد البازارات المقامة لتعرض بضاعتها عليه.

أقبل الزوار والزبائن بكثرة على تلك البضاعة المعروضة والمعمولة بأتقان .وتوالت مشاركة ام سليم في كل بازار يقام .

واصبحت الجارات يأتين الى بيت ام سليم لشراء القلائد والاساور واطواق الشعر المزينة بالورود لبناتهن وقريباتهن بدل ان يأتين كسابق عهدهن لألقاء نظرة الشفقة على الام الوحيدة البائسة.

تغلبت تلك المرأة الشجاعة على حزن الغياب بتطوير هواية كانت تحبها منذ الصغر عندما بحثت داخل نفسها لتجد مكان القوة وتتمسك به كخشبة للنجاة من غرق الحزن والم الفراق .

نشفى من ادماننا وتعودنا على من تواجدوا يوما في حياتنا ثم غادروا .بالتركيز على اماكن القوة داخلنا .باستخراج تلك

الطاقة المخبأة في مكان ما في ارواحنا لتشكل لنا جسرا نعبر عليه الى مناطق اكثر عظمة وقوة.

.....

.

.